الدكتور سامـــى الكيالـــى

لمحة عن:

الفكر العربى بين الامس واليوم ودوره في تاريخ الحضارة الانسانية

حين يرجع الباحث الى الماضى ليتبين الدور الذى لعبه الفكر العربى فى تاريخ الحضارة الانسانية يجد حشدا عظيما من التـراث الاصيل فى شتى ميادين الادب والتاريخ والعلم والحكمة والفلسفة والدين وما شئت من الوان يعتز بها الفكر البشرى.

فقد بدا الفكر العربى بداية تعبر عن الذات والخوالج. عن الاحاسيس والضمائر ، كما عبر عن الحياة التى تكتنف الصحراء بارضها وسمائها ، بانسانها وحيوانها ، بزرعها وضرعها ، بواقعها واحلامها، بنزاعها وصراعها، بخوالجها العاطفية ونزعاتها الانسانية ، فكـان

((الشعر))اداته المعبرة ، فرسم هذه الظواهر وعبر عنها تعبيراً صادقا يجمع التامل الى العظة ، والحب الى الفخر ، والحكمة الى الحماسة . وانبثقت ((الامثال)) من الاحداث ، وهى خلاصة التجارب الانسانية التى تستمد خيوطها من الواقع ، الى عظات التجارب العربى فى تاريخ الحضارة الانسانية يجد حشدا عظيما من التراث الانسانية التى تستمد خيوطها من الواقع ، الى عظات الكهان وتجارب الحكماء ، فكان الشعر الجاهلى ثروة ضخمة فى الادب الذاتى والادب الوجدانى تترقرق لمعات الذوق والشعور ببريقها الوضاء فى كل مقطوعة من مقطوعاته وفى كل قصيدة من قصائده.

.....

وقد تخطى الفكر العربى المجازات الطويلة فى سيره الرئيد تارة ، والمنطلق الوثاب تارة أخرى .. منذ صدر الاسلام الى العصر الاموى ، فالعصر العباسى . ثم الاندلسى وحتى عصور الانحطاط .. فما من فترة من فترات تلك العصور ، فى مشرق الارض ومغربها ، الا وقد ساهم مساهمة فعالة فى البناء والانتاج الذى برزت معالمه شامخة الذرى ، ووضحت آثاره لا فى دواوين الشعراء ولا فى رسائل الادباء ، ولا فى مدونات الفقهاء والمفسرين ، ولا فى كتب السير والتاريخ، ولا فى اسفار الحكمة والفلسفة والتصرف فحسب ، بل حتى فى الموسعات الضخمة التى ضمت خلاصة دسمه من المعارف البشرية التى تؤرخ فترات غامضة من تاريخ العقل الانسانى فى شتى ظواهره.

والواقع ان المكتبة العربية القديمة مليئة بهذه الذخائر والكنوز.

وكل يوم تكشف لنا المخطوطات العربية التى تضمها مكتبات الشرق والغرب ــ تكشف لنا آراء وتاملات فى شتى نواحى المعرفة الانسانية .

ان الحديث عن ماضي الفكر العربي حديث طويل متشعب الاطراف لا يستطيع الباحث مهما اوجز ان يعطي صورة صادقـه عن ظواهره المتعددة . فثروتنا الادبية ضخمة ذات منازع مختلفة ، واذا قيست الى ما خلفته الامم الحية من ثروات فكرية . كان ميراثنا، فى تاريخ الفكر الانسانى ، اوسع واعمق واشمل.

ولا نبالغ اذا قلنا ان الفكر العربى قد بز الفكر الحضارى لدى مختلف الامم بسعة منازعه وامتداد اصوله وعمق شموله.

فقد قبس وهو فى بداية نشاته الكثير مما لـدى الهنـد والفرس والاغريق ..

وما كاد يتذوق تلك الالوان المختلفة التى استساغ بعضها ، ولفظ بعضها مما تنافر وذوقه ــ اى ما كاد يهضم ما استساغه حتـى صاغه فى فلسفة جديدة ذات رواء واشعاع كان لها دورها واثرها حتى فى فلسفة الغرب .. والى هذا اشار ويلز بقوله :

« انه فى القرون التى سبقت ظهور محمد كان « الفكـر العربى » اشبه بالنار تحت الرماد ، فلما انكشف عنه الرماد بالفتح الاسلامى لمع لمعانا لم يمهد ان فاقه فيه الا « الفكر اليونانى » وهـو فى اسنى ادواره ، فجاء « الفكر العربى » بشكل جديد ، وبقوة جديدة، وعالج علاجا شريفا تنمية العلوم الصحيحة نظير ما عالج اليونانيون..

ولقد كان اليونان ابا للعلم فجاء العربى وحل محله فـى هـذه الابـوة ..

وكانت طريقة العربى هى ان ينشر «الحقيقة» بكـل استقامة، وبكل بساطة ، وان يجليها بكل وضوح وبكل تدقيق .. غير تارك منها شيئا فى ظل الابهام .

فهذه الخاصة التى جاءتنا نحن الاوروبيين من اليونانيين وهى ((نشران الحقيقة)) انما جاءتنا عن طريق العرب ولم تسقط الى اهل هذا العصر من اليونانيين)) ..

ويقول المستشرق الروسى كراتشفوسكى بهذا الصدد ما يلى :

((ان المكانة المرموقة التى تشغلها الحضارة العربية فى تاريخ البشرية امر مسلم به من الجميع فى عصرنا هذا ، وقد وضح بجلاء فى الخمسين عاما الاخيرة فضل العرب فى تطوير جميع تلك العلوم التى اشتقت لنفسها طرقا ومسالك جديدة فى العصور الوسطى وما زالت حية الى ايامنا هذه .. اعنى علوم الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا .. أما فيما يتعلق بالادب الفنى العالمى فان العرب قد اسهموا فيه بنصيب وافر يمثل جزءا اساسيا من التراث العام للبشرية ، كما امتد تاثيرهم الى عدد كبير من المؤلفات والفنون الادبية التى نشات فى بيئات غير عربية)).

.....

بعد تلك اليقظة العارمة كب ((الفكر العربى)) تحت كلاكل من هجمات المغول وحكم الاتراك . اى نام نومة طويلة اثر الضغط الهمجى الذى فرضه الغزاة ..

ومع نومته الطويلة كان ، فى لحظات يقظته يعبر من خلال سجف الاحداث ، عن ((ذاته)) ، وعن ((مجتمعه)) تعبير الانسان الذى فقد الكثير من حيويته وسائر مقومات كيانه وهو يتطلع الى ((الحرية)) ــ امنيته العليا فى الوجود ..

ومرت العصور .

وظل آمدا طويلة فى يد من المجاهل المعتمه والتيارات العاصفة التى كانت تتقاذفه ذات اليمين وذات الشمال دون ان يجد « ذاتـــه » او يجد المجن الرحب لخلق « كيانه » ..

فما كاد يستيقظ فى منتصف القرن الثامن عشر حتى بدا وعيه..

وما كاد يهيل التراب خلال قرن من يقظته على ايدى كبـــار المفكرين والرواد المصلحين ، وحتى منتصف القرن التاسع عشـــر اذا اردنا الدقة فى التحديد ــ اقول ما كاد يهيل التراب عن وجوده ويقايس بين حاضره المظلم وماضيه المشرق ويرى الهوة كبيرة ــ حتى يبدا حياة جديدة تنطوى عناصرها على التوثب والانطلاق.

ووقفت التيارات الرجعية تعرقل سير هذا الإنطلاق. وعاش فترات غير قصيرة بين « المغيبين » وبين رسل التطور والاصلاح مـــن « الواقعيين » ..

وما كان لامة ان تعيش الا ان تاخذ الطريق التـــى تكفـــل لهـــا سبـــل الحيـــاة.

واولى هذه السبل العلم الذى يعطيها القوة والنماء .

هنا وقف « الفكر العربى » ليحدد معالم الطريق..

اتجه نحو الغرب ليرى الدور الذى لعبه « الفكر الغربي » فى سير نهضته ومراحل تطوره .. فبهرته الاضواء ــ اضواء سننـــه وتعاليمه ودروسه وشتى مناهجه ..

وراى القادة المصلحون ان يكون البناء من الاساس ..
فبداوا بالمدرسة ..

ومن المدارس الابتدائية والثانوية الى الكليات .. ومنهـــا الى ايفاد البعثات الى الغرب ينهل الافراد من فيض علومها .. ثم

تبع ذلك تأسيس الجامعات الى ان تكون فى بداية القرن العشرين جيل جديد ما كاد يتلمس « واقعه » حتى تراءت له دنيا القرن العشرين بظواهرها العجيبة وانطلاق ابنائها فى قفزاتهم السريعة المذهلة .

ايقف ؟

ايتخلف ؟

انه سار فى نفس الطرق والمناهج التى اتبعها سائر الامم ..

وخلال سيره لم يتنكر لماضيه بل اخذ فى نشوة الاعتزاز به — هذه النشوة التى دفعته الى ان يبنى حاضرا اقوى وامتن واكثر اشعاعا وضياء ..

كان نطاقه الرحب الحياة العلمية بشتى نوازعها وتياراتها ، وقد بدا بداية كثيرة التعاريج ، ثم استوت على اسس ومناهج جد واضحة ..

وفى فترات غير طويلة زخرت « المكتبة العربية » بالوان طريفة من شتى البحوث والدراسات ومختلف العلوم والنظريات. وما تزال المطبعة العربية تقذف كل يوم عشرات الكتب تاليفا وترجمة وكلها ترمز الى حيويته الفكر العربى فى استساغته الحياة العلمية المعاصرة كما استساغها اجداده فى عصورهم الذهبية..

انه اليوم فى فجر وعيه ..

يطل على اوقيانوس الحياة العلمية بآفاقها الرحبة ومحيطاتها الزاخرة ..

من حياة الدرس والبحث وتمثل الحياة بالوانها المختلفة الى « الحياة العلمية » التى هى عماد رقى الامم وتطورها فى عصر الذرة .

ان ((الفكر العربى)) يتجه اليوم بطلبته الى هذه الافاق.

فهل سيبرهن على حيويته وقوته وصموده للاحــداث ام سينكمش على ذاته ويجر ماضيه ؟

اريد ان اعتقد ان الخلق والابداع سيكونان بعض خصائصه وهو فى معركة النضال .

فقد برهن ((الفكر العربى)) فى مختلف عصور نهضته انــه ((فكر مارد)) يستطيع التحليق فى الافاق .

وما عرف عنه الجمود قط .. ولا التخلف بل اليقظة والانطلاق. وهذا ما نامله فى مستقبل حياتنا المعاصرة ولا سيما والامة العربية فى فجر يقظتها وقد صممت بعد ان لملمت اجزاء كيانها المتفرق واستكملت ادوات حياتها ـ صممت ان تساهم مساهمة فعالة فى بناء الحضارة الانسانية التى تعطى البشرية الرغد والطمانينة والحياة الحرة ..

وهذه امنية كل الشعوب المتحررة فى عصر ((اشتراكى الطابع)) قضى قضاء مبرما على كوارث الاستعمار الذى كان سبــب تخلف الامم التى عاشت فى ظلماته ودياميسه .. ومنها امتنا العربيــة التى قررت ان تسير سيرها السريع فى الطريق الحضارى الذى يبوأها مكانتها السامقة بين الامم التى تنشر السلام والحرية والعزة والكرامة الانسانيـــة .

حلـــب : ســامــى الكيالــى

ابراهيم المسولامي

ذكرياتنا

اهـذه أنـت ؟
أكـذا نسيـت ؟
يـا مـن كنت على ذراعـي تحلمين
كـالـطـفـل
كالضحكـة الموسقة الرنيـن
وتـذكريـن
ليـامنـا والحـب والليل الامين
نغتـابه قلبيـن شفهما الحنين ؟
يـا نـائـيـة
كـفـاني
ان اعـوامـي العشريـن قبل اللقـا
افنيتهـا وحـدى يعـذبنـي الشقـا
ونسيتهـا في حضـن احـلام سعيـدة

كـــانـــت لنـــا فى ايـــام بعيـــده
هى ذكرياتنا ـــ ان نسيتـــ وعيتهـــا
بـــدمـــى الهبتها ـــ .. رويتهـــا
لملمتهـــا يومـــا فيوما
جمعتهـــا شوقا وحلما
وحللتهـــا اغـــوار قلبـــى المستكيـــن
وببـــابـــه القيـــت زهـــرة ياسميـــن (١)

---

(١) من ديوان حب الذى ستصدره منشورات اقلام .

م. رائد الكسندر

الآخرون الذين احبهم

عندما كان يربت على كتفك بحنان، ويهمس لك بلطـــف : «هيا قبل يده» .. كان والدك بذلك يدفع فيك (الاحترام للرئيس) . وكنت تخطو ببطىء نحو ذلك الكهل ، وبعد ان تضع شفتيك على يده ترفع راسك لترى ابتسامته المرتسمة فوق ذقنه البيضاء توحى اليك (بتبارك عظيم الشان) انتقل اليك من يد اكبر رجل فى الدولة ، وكما كان يقول والدك : « فخامة الرئيس » ، كنت تحاول «انت» ان تعطى «الرئيس» نفس اللقب ، لكنك كثيرا ما كنت تخطىء فتقـــول له : «جدى» ، ـ كان يوحى اليك بالجد ، وكان يلذ لك ان تهرب هـــذه الكلمة فى حضرتهم بين حين وآخر ـ وعندئذ ، واثناء ابتسامـــات « الرئيس » الراضية كنت تسمع والدك يقول : « بل فخامة الرئيس يا بنى » . الا انك فى هذا كلت كنت تريد ان تقوم بتمثيل المسرحيـــة عل ىاكم لوجه تحت نظرات والدك التى كثيرا ما كانت تحدث الرئيس عن « ابنه .. عنك .. عنه يا انت » ، وكيف « انه .. انت » ولــد

كابيه ، (كبير الشخصية) حتى يستطيع الدخول الى غرفة ((الرئيس)) ليجلس بالقرب منه . وكنت تحس ((انه يا انت)) تحظ بشرف لـم ينله ابدا الا القلائل ، كاعضاء المجلس ، وكبار الضباط ، وكنت عندما تقترب من الشيخ الكبير تحدث والدك بعينيك عن قدرتك الذاتية ، وانت ذلك الصغير الذى لم يتجاوز العشر سنوات على الجلوس مع ((الرئيس)) وانك حقا ما اراده فيك ، وبانك و (بكل فخر) ابن ابيك . وفى الصف مع اصدقائك وراء المقاعد كنت تشعر بتعال عليهم جميعا لا لانك ((انت)) وحسب ، بل لانك كنت تقول (متفاخرا) انك الوحيـد من بينهم الذى يجالسه . وكنت تتجول ببنطالك القصير من غـــرف ((القصر)) الى حدائقها ، وكنت من بين (كبار شخصيات الدولة) تفقد متملقا بابتساماتهم التى كنت تظنها لقفذاتك البطولية ، بينما كانـت ارضاءا لوالدك ، ولمركزه الحساس فى ((القصر)) . و ((انت)) تذكر الان ((مامون)) ، و ((ناظم)) ، عندما التقيت بهما فى غرفة والدك فى ((القصر)) منذ عشر سنوات ، فقبلاك من وجنتيك ، وتحدثا معك عن ((مدرسة البعثة الفرنسية)) ، فاجبتهما بفرنسية طلقة استحسناها ، وقبل ان ينصرفا ابديا لك اعجابهم الشديد بفرنسيتك القوية ، وبعد ان حيا والدك وعداك بمنصب رئاسى كبير عندما تكبر ، وبانك حينئذ ستكون مثلهم منصبا مراكز عالية وحساسة فى الدولة ، والواقع انك يومئذ شعرت (بعظمتك) اما مرجلين من كبار رجال السلطة ، واحسست لا شك ستكون مثلهم ، فالقيت راسك الصغير الفارغ على صـــدر والدك ، وضممته هامسا بعد ان خرجا : ((انكم عظماء يا والدى)) . ودون ان تنسى وعد ((مامون)) كنت تسمع صوته من حين لاخــر ، وتتصور هيانه وهو (الرجل الكبير) يبشر لكبمستقبل ذى شان كبير .

وانت اليوم ، وبعد عشر سنوات ، خجل .. خجل من كل هذا . و (مامون) اليوم ، وبعد عشر سنوات ، وكانه يريد ان يباركك يربت على كتفك ، ويهدهد يده فوق كتفك ليشعرك بتقديره واعجابه العظيمين ، من ذاته التى يظنها (عظيمة) . لكنك احسنت حين ابتعدت عنه برفق ، ودون ان تجعله يشعر بانك تهرب من يده اللئيمة القذرة التصقت بالباب وراء مقود السيارة .

انه لا يكف عن كونه ذاك الرجعى مع كل العقاب الـــذى ذاقه شعبك اليه ، فاليوم زحف رفاقك الطلاب كجيش ثائر فى شوارع المدينة يعبرون عن استنكارهم للحكم . ولضرباته القذرة التى يوجهها الى منظمتكم الثورية ، فاشتبكتم مع زبانيته المأجورين ، وتحــــت ضربات اعقاب البنادق الحديدية التى نزلت على صدوركم كان يفو. لنفسه ، وهذا ما سمعته منذ قليل وهو ينقل اليك مشاعره الخبيثة : ((عليه ان يهرس الطلاب تحت الاحذية العسكرية لجنوده قبل ان تقوى شرائم الطلبة وعصاباتهم فيستطيلون على هذا الحكم الشرعى ، ثم ما ذا يريدون اكثر من مجلس للنواب ، وحرية كهذه التى متعهم بها!! اشتراكية فوضوية .. دماء الابرياء ؟)) وكنت اخرس صامــت ، لا تجيب ، وكانت الاحذية العسكرية التى ضربتكم بها العصابات من صنع فرنسى ، ربما خاضت معارك فرنسا ضد ثوار الجزائر ، وربما هـــى اليوم مع البنادق الفرنسية الوحيد فى يدهم . وكنت قد ابتعدت عـــن يده وهو يحاول ان يباركك بها الى طرف المقعد ، والتصقت بالبـــاب خلف المقود برفق ، ثم تجمدت هنا . وكلا تحريصا على عدم اكتف امر تهريبك من يده . وانت الان ، خائف .. خائف ، تلتصق بالباب ،

تكاد تدخل من صفحات الحديد الى جوف الباب المصفح ، وتتكمش على نفسك ، فان هو اراد ان يلمس كتفك من جديد ليقول لك : ((ما شاء الله)) لن تجد مكانا للخلاص من يد الخيانة ، وانامل الثاني والعشرين من ايلول متجسدة فى اصابعه الطويلة النحيلة ، الخضراء. لكنه جالس فى معطفه الاسود السميك كالخنزير يتطلع الى ارصفة المدينة بجمود ، وكل ما فيه بارد ، شعره الابيض ثلج ، بشرته الصفراء جمود ، عيناه صقيع .

هو حقير .. حقير .. حقير ، حقير بصوت اجوف ، حقير بصوت اخرس ، وانت جبان ، ترعرعت بينهم ، وفى وقت كنت ترمى نفسك باحضانهم كانوا يلقون بالرفاق فى السجون . لكنك منذ قام الانفصال صرخت ، تنظمت ، ناضلت ، وفى مظاهرة سجنوك . امك اتصلت بهم فاخرجوك . كان ذلك زمن حكم (مأمون) وهو الان بجانبك . وكان والدك قد طلب منك ان تقوده حيث يريد . وكنت قام الانفصال مصمم على قتله وقد اتى اليوم لزيارتكم ، وقد بليت بالشر منذ خلقت ، فلقد وجدت فى عائلة بورجوازيه .

تمردت ، تمردت .

وكلما حاولت ان تصرخ بوجهه : خائن .. حقير .. عميل تتذكر والدك وتخرس . تهم بفتح الباب لتلقيه والسيارة مسرعة .. تتذكر والدك وتصمت . صرختك فى وجهه : انا لست منكم ، تختنق فى حلقك متذكرا بيت والدك .. محضنك البورجوازى ، وتسكت . تتحسس المدية . شفراها الحادان يلمعان فى جيب معطفك ، ستفتحها فى الظلام . تتلمس نصلها الاملس البارد ، تكز ابهمك فى راسها الحاد بعد قليل ستصبح دافئة بدمائه الملطخة فوق صفحتها الملساء .

اخرجها .. اخرجها . يدك مشلولة ، وهى فى معطفه الاسود السميك خنزير ليس الا ، فلا تتركه ينتصر . فاجئه بالطعنة القوية ، ثم القى به فى البحر . سياكله القرش ، لن يعلم احد ، فهجرات قوافل القرش ، تتوافد على الساحل . سياكلوه .. سياكلوه . انها ليست جريمة ، الجريمة ان تقتل اشتراكيا جردوه من حقوقه المدنية وانت وحـدك ستنفذ بقتله الوضع البشرى : ان الحكم البشرى صار باسم الملايين لتنفيذ الفناء عن كل من لا يريد لوجودك الاشتراكيه . ان تقتل ، هذا يعنى ان ترفضه من جذره . ان تقتله ، هذا يعنى ان لا تقبله فى محيط وجودك ابدا . ان ترفضه ، اذن اقلبه وبنيته التى امتد بها فى الارض . .ارضك . العمال عندما يريدون تجاوز وضعهم ، يتجاوزونه لانهم يرفضون واقعهم الذى يعيشونه ، فان ترفض معناه ان تدمـر . وانت ترفضه كانسان ، دمره .. افنه . ان العالم وجودك ووجودك اشتراكى ، وهو لك فقط ، لهذه الاجيا ل الكسيحه تحت الالات ، وانت ترفض عدا ذلك فكيف تبقيه ؟ اطعنه فى قلبه . الدمار . الفناء للمرفوض عندما رفضت الانفصال دمرته ، بقى ان تفنيه ، لانه لا زال يحيى فى ((مأمون)) . ((مامون)) هو الانفصال ، افنيه .. افنه . يدك ذراع حجرى جامد ، والمدية تسقط فى جيبك عوضا عن دخولها فى لحمه الحقيقى الصارخ ، لكن اعصابك تمتد رغما عنك فى بنية بورجوازية . كان عليها ان توجد بين عينيه ، وكان عليك ان تشعره بها .. بوجودها افكارك فى العنف لا تعيش الا فى حلقات الحزب ، اما ان تقتل فعـلا وتبيد ما ترفضه فانت لا تستطيع .. لا تستطيع .

بورجوازى .. بورجوازى ،

ان كنت تستطيع اليوم قتله فانك بهذا ستكون برهانا اصيلا امام اعين رفاقك وهم يدينوك بنظراتهم : بورجوازى . وجهك فـى مرآة السيارة .. هذا الشعر الطويل المسبل الناعم كرجل خنثـى

بورجوازى .. هذه القسمات الدقيقة الرفيعة .. عيناك الذابلتان المطفاتان .. قسماتك الارستقراطـيـة ... ومن خلف مسدساتهم الرشاشة ، أيام تموز ، تدنيك تشك بامر وجودك معهم . هيا اقتله واسرع الى الرفا قمعترفا بالاعدام الذى افنى به ((الانفصال مامون)) لكنك لا تستطيع .. لا تستطيع حتى تحطيم هذه المرآة المستطيلـة امامك ، فان انت فعلت محطما وجهك المرتسم فوقها لاخفته ، وانت الان لا تستطيع حتى اخافته. ارعبته ارعبه . لا زال وجه والدك يتراءى فى راسك الفارغ. ونظرات رفاقك من العمال الذين نزلوا من ((حـى المحكمة)) فى الجبل ليدافعوا عن ثورتنا !! عن ثورتـهـم .. هذه النظرا تمن ورا ءمسدساتهم الرشاشة كانت تنبض بالحق .

كنت آنئذ تحمل مسدسا رشاشا معهم ممسكا به بتشبث . وكنت تستلقى فوق ارض الحديقة التى قضيت طفولتك بها ، ومـن هناك ، وقفت فوق سنواتك العشر .. وطأت الماضى واخذت تطلق الرصاص على شرائم الفتنة . فى القصر حيث كانت تساس المؤامرات على الامة ، وفى حديقته التى عرفتها جيدا ، عدت اليه بعد عـشـر سنوات أخرى لكن مع انسان آخر جديد هذهالمر ة ليحيى مبادىء امته، وهناك فى غرفة والدك التى جلست فيها طفلا لسنوات عديدة ، وحيث قبلك ((مامون)) و ((ناظم)) من وجنتيك .. هناك نمت فوق تلك الارض محيطا مسدسك الرشاش . كان سريع الطلقات ، وربما قتلت بعض المأجورين ، وقد جرحت احدهم اثناء دورية لك بعد قيام الفتنة بأيام حين اكتشفت تخفيه بلباس شرطى ، فلما حاول الهروب جلست جاثيا على الشارع ، وبعصبية هيات رشاشك للطلق ، وكنت ترجف غضبا، وكان فى صوتك وانت تصرخ فيه ان يقز صوت امه ، لكنه استمـر بهروبه جاريا ، فضغطت باصرار على الزناد ، وكنسـت الـشـارع رصاصا ، فسقط مصابا بقدميه .

أذن ، هيا اقتل «مامون» الان .

كان يرتجف في صوته الخوف ، وتفيض الابوة وهو يوجه اليك حديثه في اول خطوة له فوق ارض المطار : « عزيزى ستسافر معى بعد اسبوع » ــ ابنه يتجول في الشارع (كسطاع الطرق) ممسكا مسدسا ، وساعده تحيط به شارة اعلنت عليها اهداف الامة ــ وهرع في العودة ليأخذك اليه من جديد . كنت لا تريد آنذاك السفر . وكنت تود ان تستمر حياتك مع رفاقك لحماية الثورة . وكانوا يقطعون عليك كل محاولة للاحتجاج حين تقول والدتك : « من أنت ؟ انهم يستطيعون حماية ثورتهم بدونك . انهم ليسوا بحاجة اليك » . كنت تريد ان تجيبهم : « انا الذى بحاجة اليهم » ، لكنك اجبتهم كالقط الوديع ، ودون ان تبدى اى تردد : « حسن » كان عليك ، ايضا ، ان تصمت ولو لحظة واحدة ليروا ان جوابك يلزمه مدة طويلة لقطع هذه المسافة الواسعة التى تفصلهم عنك . لو انك تأفأفت قليلا قبل ان تجيبهم بهذه الـ « حســـ . . . ــن » . لكنك اذعنت ، ولا زلت مستمرا بالاذعان مع انك نادم . وانت الان تعرف ان الاذعان لما لا ترضاه يعيش ، متنبها ، ارقا ، في الندم ، وانه حسبك من هذا كله .. يكفيك . وانفاسه لا زالت بطيئة ، ثقيلة ، تسمعها من انفه الابيض المرفوع بجانبك في السيارة ، وجماعة ايلول كلهاه معك في السيارة ، وانت لا تجرؤ على تحطيم مرآتك المستطيلة خوفا من ارعابه . اتراك تحرص على بث الطمانينة من وجهك الكاذب الى وجهه الابيض المطمئن الان سلاما بالقرب منك ؟ وتبتسم ! «ايضا ؟! هيا .. هيا ، ينقصك ان تقبله ؟؟؟!!! وهو ، يجيبك الان ، بابتسامات اكبر واوسع تأخذ وجهه كله في ارتخاء امين ، واتساع فمه القذر الذى لا زال يدمدم: « بارك الله » . يا له من قذر ويا لك من مزيف لا يستطيع ان يكون صادقا لا في قتله وحسب ، بل في التعبير عما تكنه له من احتقار .

وكنت فى العام الماضى تفتح مخازن التجار ، رغما عنهم ، وقد قاتلهم : ((قذرون .. قذرون)) . وكنت على مرآى من اعينهم حينئذ وكانوا يبصقون . وكنت مصمم على قتلهم لو لم يقطعوا اضرابهم . وفى فمك الان حليب من ثدى امك ، وانفك من عطرها يرفعك الى يديها لتحتضنك بهما ، وراس والدك تسفافا يتراءى فى راسك ، صوته .. نظراته .. طيبته . رائحتها .. مذاق حليبها .. صوتها الملائكى . وهو وحده يتنفس فى اطمئنان ، يشهق طويلا ببطء ودفىء ، لا يدرى شيئا من الجحيم الذى تعيشه ، وهو يستحق الان ركلة بحذائك فى صدره . حطم له قفصه الصدرى . ارمه من السيارة .. ارمه من السيارة .. هل تسمع ؟ ارميه . اصرخها فى راسك بكل قوتى .. اصرخها فى راسك واسمعا : ارمه .. ارمه ، وانفاسه الان تتصاعد سريعا ، وصدرك يختنق ، يعلو ويهبط ، ستسمع راسه وهو يقع على الارض ، سيضج ، سينفلق من الاصطدام ، وسترى نخاعه ينداق فوق التراب مائعا .. لزجا .. هيوليا ، سيتناثر الانفصال ونخاعه كالقىء فوق غطاء ابيض . سينفسح فوق الاسفلت ، ثم يلتصق به تحت اشعة الشمس . هيا .. هيا ، ارفع قدمك عن مكبس الوقود واضربه بها . كانت قدمك صغيرة آنذاك ، لكنها اليوم، وبعد عشر سنوات كبرت ، لكنك لا تريد حتى اثارة الرعب فيه ، وقد اخذت قوتك الان تتجمع فى اسفل قدمك ، وراحت تتفرغ مضغوطه فوق المكبس لتتجاوزا الاشجار على حافة الطريق بسرعه ، والسيارة تنهب بك الارض ، وهو إنظر اليه ، كيف اضطرب وجهه واخذ يتمسك باطرا فىمقعده خائفا . لكن قدمك ارتفعت والسرعة تخف ، وقسمات وجهه عادت الى هدوئها ، ثم كتف يديه واخذ ينظر الى الشمس ،

وبينما تسقط هى فى عينيه لا تزال انت مترددا . مترددا ، وترددك ندم وانت تتمزق الان . وجوده فى راسك ، وراسك تملاه صور قديمة . وجه والدك لو قتلته ، وجه والدك امام اصدقائه . ابنه قاتل .. ابنه قاتل . ولو قتلت مامون الان ، فان والدك مهما كان موقفه من الجريمه سواء كان الايجاب او السلب او الاسف عليك ، او فهمه لحريتك التى رفضت (حرية مامون) ، فابادته .. مهما كان موقفه الا انه سيكون له موقف ، وانت لا تريد ان يدخل بينك وبين قتلك لمامون ، وهو سيدخل رغما عنك بصوت غاضب ، او بصوت رؤوف ، وهذا ما يبعث فيك التمزق لانه سيدخل .

ما شانه هو ، لقد قتلت ، لقد قتلت ، انا الذى قتلت وليس هو ؟!

لا لكنك ابنه ، وعليك ان تتبع اخلاقيته ، اخلاقيته فى ان لا تقتل احدا ، اخلاقيته البورجوازية يا صغيرى ، هل تفهم ؟ وهو يريد لك قيمة ، فان انت قتلت فهو قد يغضب . فليغضب .. فليغضب ما شاء . للجحيم يا والدى . للجحيم انتم واخلاقيتكم . نحن فقط سنبقى. انتم كلكم للجحيم ، وانت اخرس صامت ، الان اكثر من اى وقت مضى ، وهذه القطعة الساخنة من العفن انتصرت ، وهى باقية فى وجودك رغما عنك ، لا لكونك تريد بل لكون الاخرين الذين تحبهم موجودين .

لم اكرهك يا والدى

وكنت تندس فى صدره الواسع فيملاك بضماته الوادعة حنانا وحبا ، ولا تزال رائحة جسده تعطر صدرك فتملاه نشوة ومحبة له . وانت تحبه .. تحبه رغما عن كل شىء ، وعندما تتعارضان ، كالان ،

ومامون الى جانبك ، وانت تتهيا للانقضاض عليه ، لتسمع صوته في راسك يقول لك « لا تقتل مامون » ، فيتغير وجهه ، يقبح ، كلماته تعتدى عليك ، وجوده كوجود مامون لزجان في عالمك ، وانت تكرهه .. تكرهه .

للجحيم يا والدى ،
وصدره كبير لا زلت تحب رائحته عندما ياخذك بين ذراعيه .
كم احبك يا والدى ،

ومامون من جانبك تريد قتله لكنك لا تستطيع .. لا تستطيع، وهو وحده موجود فوق حريتك .. فوق وجودك ، ياكل بانفاسه المطمئنة ارادتك القلقة في دمار طبقته ، وحريته مكورة فوق المقعد، وخلال التاريخ لا لانها موجودة بل لانها موجودة بل لانك لا تستطيع . لا تستطيع ، وهو يجلس بثقل لزج سمين فوق حريتك . اقتله . انت تكرهه ، اقتله . هيا .. هيا ، انت تماديه ، وكما هو موجود في الخارج موجود في راسك ايضا ، ولانك تريد ان تخرجه من راسك الى الابد ، لانك تريد : اقتله .. اقتله ، وحينئذ ينزاح من وجودك وتبقى وحيدا .انك توافق لكنك لا تستطيع . وان توافق ، هذا يعنى القبول والمشاركة في الموقف . انت مسؤول عن قتله ، لكنك لا تستطيع : تمزق .. تمزق ، كم انت كذاب .. كذاب .

داره تقترب ، والصقيع اخذ يمتد فيك ، قطعة ثلج زرقاء بدأت تذوب فوق المقعد . عيناك هامدتان . راسك مرخى بثقل . ذقنك يلامس صدرك ، وهو على جانب قريب منك يسند ظهره بكبرياء لكنك شارد ترمى نفسك عند مقدمة السيارة خلف زجاجها بقرف ، وهو يكبر يملا جوف السيارة ، والظلام آخذ بالنزول برهبة وثقل .

يداك فوق المقود لكنك تلاشيت . لا مكان لك فى هذا العالم ، وهو يمد لك يده ، ولقد صافحته ايضا ؟؟!! لا مجال للتراجع الان ، لقد تمت المصافحة ، لو انك لم تصافحه فقط ، كلام المهزومين بعد الفشل ، وقد ابتسمت له ايضا ، لكنها صفراء ، ولما وضع عينيه فى عينيك ارخيت على العالم جفنيك لكن كل شىء بقى فى رأسك ، حتى هو ، وقد أختفى وراء الجدران لا يبالى . الحزن يفيش فى مهد الندم ، وانت نادم لانك لم تقتله ولانك صافحته مبتسما . والسيارة تسير بك ببطء الى محضنك عند والدك . لا داعى للسرعة .. ببطء .. ببطء .. هكذا وكانك فوق شارع من القطن ، يداك مرخيتان بارهاق وكل ما فيك يسقط متعبا ، والشارع ملىء يتحرك مسرعا ، وراسك يغرق فى حمام كهربائى . انك ترجف .. ترتعش . .لذعات باردة فى رأسك .. تيارات ساخنة فى راسك .. وهو يرتعد الان باردا ، جعلوك كلهم تسنده فوق الزجاج . ابكى . .ابكى . يمكنك ان تبكى ، وحين يسالك الذين تحبهم عن دموعك ستقول لهم للا شىء .. للا شىء . يمكنك ان تبكى .. لا يمكنك الا ان تبكى ....

من حولك يلتفون قلقون ، وأنت وخدك مصلوب فوق الفراش تبكى من الحمى . ابك .. سيجديك ان تبكى ، واخرس منذ اليوم ولا تتحدث بعد عن الثورة . لا ، لن تخرس ، ستخرج ، ولن تعود اليهم ابدا .. ستنسلخ عن وجودهم . لكنك تحبهم ، ولانك تحبهم ، انت لا تستطيع ، لا تستطيع ان تتركهم يؤلمك الاخرون الذين تحبهم .

كم انت تحبهم ؟
تألم ،
كلما شعرت بهم ستتألم .

م. راشد

احمـــد الجومـــارى

مـــرثـــيـــة

(الى الراحل الراحل العزيز ب.مرافق. الذى قتل
فى حادثـــة . وخلفنى رمـــادا ...)

آه ربـــى .. لم ضـــاع ؟ ..
غيبته حفرة القبر البليدة !
وطوته .. آه فى غربة الموت العنيد
آه ربى .. كيف ضاع ؟ ..
وشباب الارض كان ..
يتغنى بأناشيد العصافير العائدة
من ثلوج الصمت . من لسع الرياح
وربيـــع العمـــر آه
كيف غنى الفتوة الاولى وغاب ..
لم يودع صحبه . احبابه ، ثم غاب ..

أيها الطيف الذى مر كالحلم الشرود
أيها اللحن الذى زرع النور فى احزان المساء
انت ماضرك لو نبت حنينا فى ضلوعى
قبل ان تدنو نراع الاخطبوط
منك . من طفل البراءة
انت ما ضرك لو نبت حنينا فى ضلوعي
قبل ان تثويك حفرة
يا رفيق البسمة الخضراء فى ليل دروب
قد عبرناها .. زمانا .. زاحفين !
تلهث الامال فى اعماقنا ، رغم سجون
نحن فيها غرباء . غرباء ..
غربة الموت التى قد خطفتك !
انت يا ايها الطيف الحنون
ان تودع عمرنا !
ان تغب وسط الزحام !
ان نكفكف دمعنـــا
فنداء الدم ما زالت تناغيه امانيك الطموحة
نحو شعب كنت تعلم
ان قطاع الطريق
اغرقو فى بحار من دموع ..

يا حريقا فى دمائى يتوثب
يا رفيق العمر يا احلى « مرافق »
انت فى روحى دموع وعتاب .
انت وهج الذكريات الطيبة
فى سجون نحن فيها غرباء . غربـــاء
غربة الموت التى قد خطفتك !

البيضـاء : احمد الجوماري

حســـن المتبعـى

برخت الحقيــقى

كنت فى العدد السابق قد قدمت تلخيصا لبعض الاخطاء التـى ترتكب فى حق « برخت » . واليوم اتابع الحديث عن كاتبنا الالمانى فى جانب هام من فلسفته التى تعكس الوجود ومكانة الانسان فيه كمخلوق ضعيف امام مصيره ، حائر امام ضربات القدر التى تتوالى فى شدة وعنف . وسوف أعتمد فى ذلك على بعض الاخبار المبعثرة فى مجلة « المسرح الشعبى » الفرنسية والتى تنوه كثيرا بمزايا برخت كأديب اغرق فى الالتزام وجابه الحياة ثم دحرها ومشاكلها دون ان يزيغ عن نزاهتـه الفنيـة او ينحرف عن عقيدته التـى اعتنقـها عـن اقتناع فلسفـى .

كان برخت طول حياته يمثل الانسان العادى ، انسان القـرن العشرين الذى تمزقه الاوهام والهواجس ، وابن الطبيأمة المنبـوذ فى دنيا التصنيع والتنافس العلمى . على ان ذلك لم يمنعه من اجتياز المراحل منذ الحرب العالمية الاولى الى رسوخ ديمقراطية شعبيـة

فى اوروبا الشرقية . ولا غرو ان كل الاحداث كان لها اثر فى تكوينه مما جعله منذ شبابه يعانى صراعا داخليا بين قوى العقل والحدس ويبتعد عن « كتاب الشوارع » التقليديين لينغمس فى يسارية متطرفة ،وينكسر لحرمان الانسان وفقره ، ويعى مصيره اكثر مما افتعل ذلك «كافكا» او الوجوديون انفسهم ، وان كان يرى الكون بمنظارهم ويعتبر الانسان محدودا بحكم البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها ، والظروف الخارجية التى تحيط به . هذا واذا كان التزام الوجوديين امثال كامو وسارتر وليد الهزيمة التى تكبدتها فرنسا سنة ١٩٤٠ ، فان الانهزام الذى عرفته المانيا سنة ١٩١٨ له اكبر الأثر فى توليد نفس الشعور عند برخت ومعاصريه ، اذ فى كلتا الحالتين كان مثقفوا البلدين ينظرون الى الاشياء فى واقعية صريحة وفى نطاق عالم دنىء يسود فيه العنف والاقطاع ، الشىء الذى دفع برخت الى التاملات العميقة والانعتاق الانسانى بمقاومة العنف بالعنف والكراهية بمثلها ، وبذلك كان عميق الالتزام مصورا بشاعة عصره فى عبارة هادئة مقبولة كما يظهر ذلك فى مسرحيته « القرار « La DECISION » و « رجل مقابل رجل » حيث يقدم الحلول المقنعة لاوضاع حياتية ملموسة.

ان عالم « برخت » عالم اجوف تتردد فى ثناياه صيحات عديدة تشير الى ان الكون فقير وان الانسان بقبحه اخبث واضعف المخلوقات. فالفضيلة لا تحمل اى جزاء لمن يسعى الى تطبيقها ، وليست سوى علامة للبلادة . لذا يصرح احد ابطال مسرحية « القاعدة والاستثناء » انه :

« اذا كان بقربك شخص يتالم او يحتضر عطشا فاغفل عنه ، وتناساه .

وامسـك عن مساعـدة الغيـر
فالويـل كل الويـل !
لمن ينقـاد للشفقـة
ويقدم المـاء للعطشـان ،
فانـه لا يطعـم الا الـذئـاب .»

هذا النوع من الكلام يؤكد ظاهرة الصراع فى عالم تحتشد فيه المخلوقات ، وتنعدم فيه العدالة ، ويسيطر عليه الشر ، اذ لا عـون للفرد فيه سوى ما يقوم به من حركة ايجابية وتضحية شخصية. وقد قيل ان مثل هذه النظرة تعكس الجانب السلبى عند برخت فى حيـن يشع الامل والخلاص فى شكل افتراضى اولى او عن طريق اجتهاد فكرى ، لذا كانت الناحية الايجابية بعيدة عن الحقيقة العلميـة فى مسرحياته تتمركز فى ذاتية الانسان الذى هو مطالب بتغيير الكـون والبحث عن الحلول . ومن هناك نرى ان برخت يجعل الحقيقة ساطعة فى الحركات المحسوسة والمواقف الحازمة للانسان ، وقد عبر عـن ذلك فى خطاب له عن المسرح حيث قال : «.. ما فائدة المشاهد المحكمة التنسيق اذا لم تكن ترمى الى غاية ؟ وما قيمة الطاقات الكهربائية اذا لم تكن تسلط انوارها على مظاهر حياتية غامضة التباسية ؟ لماذا نرهق النفس فى البحث عن الاوهام اذا نحن لم نعمل على وضع الحلول اللائقة واستقصاء التجارب المفيدة ؟ اذا كان لا بد للجهود ان تكون ذات قيمة انسانية ، ومفهوم اجتماعى ، فان على المسرح ان يعتنق جانـب الجمالية الهادفة ويستعمل فى ذلك كل الطرق الفنية التى تعكس صورة الوجود والنماذج التى تعرض حدود تعاطف الافراد حتى يتسنـى

للشهود فهم وسطهم الاجتماعى وترويضه فى شتى النواحى العقلية والاحساسية ... ان رجل اليوم يعرف اشياء قليلة عن القوانين التى تسير الحياة . فهو يخضع للعاطفة فى كل التدابير بحكمه فرداًاجتماعيا واتجاهه العاطفى ينقصه الوضوح والدقة والفعالية ، لان احساساته ومداركه تأخذ مادتها من منبع عقيم متشعب . وهذا المخلوق يحيا فى عالم اساسه التغير السريع مما يجعله بعيدا كل البعد عن اقتناء صورة عادلة للوجود تحفزه الى العمل مع ضمان النجاح لمشاريعه. لان العالم فى رايه لا يقوم الا على الاحكام المغشوشة والتناقضات . فلا يدرى اى تدخل فى الالة الاجتماعية يكفل له الحصول على الشىء المنشود ، لان جهلنا بطبيعة الافراد وطبيعة المجتمع الانسانى لا يخول لمعرفتنا بماهية الاشياء مهما كانت عميقة ، ان تجعل من امتلاكنا للطبيعة منبعا للسعادة الانسانية ، بل سببا فى شقائنا وتعاستنا . من اجل ذلك كانت الاختراعات العلمية تهديدا مروعا للانسانية نتقبلها اليوم بصيحة النصر مشبوبة بشىء من الهلع والقلق. فهذا « انشتين » يؤكد ان قهر الانسان للطبيعة لا يعمل لصالح الانسانية لان الشعوب لا تفطن الى صلاحية الاختراعات وميادين استعمالها ، ولا تعرف الشىء الكثير من نفسها مما ادى الى ظهور السيطرة والاستغلال والمذابح الحربية .. حينئذ كان لا بد من وجود المسرح او الفن على العموم لتقديم صورة عن العالم دون اللجوء الى البديهية او نقل الاشياء والاحداث فى شكلها التام ، بل باتباع طرق الايحاء الفنى التى تجعل علاقات الافراد الغامضة تسطع بالحقيقة وتتلفظ بجوهرها . وبذلك نرى ان الفن يستطيع بناء عالم خاص دون

ان يجعله مطابقا مع عالم الحقيقة ، اذ ان هذا الامتياز خاضع لظاهرة بسيطة وهى تعرف الشهود على الفنان واشخاص المسرحية واحداثها ... »

هذا ومهما ابتعد برخت عن تقديم الحلول فى انتقاده للانظمة فانه يعرض حالة الانسان المزرية وطغيان المؤسسات التى ابتدعها والتى اعدمت كل ترابط بين الطبقات فانتشر الفقر ومعه الخذلان ، والثراء ومعه السفالة والغطرسة ، امام كل ذلك ، وجب تغيير الاوضاع لا عن طريق التدريج بل عن طريق العنف ، وهذه الرؤيا تطابق المادة الدرامية المتشائمة التى الهمت رجال المسرح من « اشيل » و « سينيك » و « شكسبير » الى يومنا هذا . وهى ترى ان الكون ملطخ بوجود الشر تضارب القوى الفوضوية الشىء الذى دفع برخت الى تعويض «القدر» فى مسرحياته بالحركة اللامتوقعة للنظام الاجتماعى التى تصنع حياة الاشخاص وتلقى بهم فى احضان التعاسة او الرخاء، حيث ينسلخ الفرد ، وسط هذا النظام ، من ذاتيته القارة ليصبح حصيلة اجتذاب القوى الاجتماعية التى يحتمل حدوثها فى كل وقت .

واذا كان برخت يرى ان العنف وسيلة لتفوق العقل ، واعدام الفوضى من الوجود ، الى ان تصبح الحياة مليئة باللطافة وحسن اللياقة ، فان ذلك كان وليد نزعته الشيوعية التى تنفرد بصلاحية العنف كطريقة للخلاص . وقد آمن بهذه النظرية جل ابطال مسرحياته وكذلك جان دارك التى آمنت باله الحب وعقيدة المسيحية ، فلما افتقدتها الاحداث آمالها صاحت فى عنف واضطراب :

« من قال ان الاله موجود
وانه سيعينه رغم غيابه ،
فلا بد ان تحطم راسه على الارض
الى ان يموت كالكلـب
اذ لابد ان نتجه الى العنف
ولا بد ان نقصد الانسان
حيث يوجد الانسان ... »

ان حياة برخت فيما عاناه من اضطراب ومضايقة تقدم لنا مثالا حيا عن المثقف النابغ اليقظ الذى صمد فى وجه كل مقاومة . ومتى حاولنا الاحاطة بشخصه كان علينا ان نعتبر اتجاهه الشيوعى والدواعى التى دفعته الى اعتناق الشيوعية ، واتخاذها عقيدة له . لقد كان برخت يكره المجتمع البورجوازى نظم حياته اذ كانت الطبقات المثرية فى المانيا الى جانب مظاهرها العارية المتعفنة تتصف بالبلادة والنفاق والعهارة . وكان المثقفون امثال برخت يكرهون وضمية تلك الطبقات، وكذا الانواع الادبية التى كانت سائدة فى عصرهم ، لما كانت تفيض به من وطنية متطرفة وعبارات شادة تخلو من كل جمالية فنية . فعندما قامت الحرب العالمية الأولى كان انحطاط اللغة وسفاهتها فى رأى برخت علامة على انحطاط مجتمعه الشوفينى الذى كان يميل الى الراسمالية فى شتى مظاهر الحياة ، حينذاك لم يطق تحمل تلك السفاهة وذاك النفاق ، فكان لابد له من عقيدة موضوعية تنسيه الحالة المريرة التى كان يعيش عليها ابناء وطنه . وقد كانت الماركسية خير اساس تبلورت فى ثناياه اتجاهاته الجمالية الادبية وابعاده الفلسفية ، اذ كانت تمكنه من عقلنة الصراع وفهم احكام التاريخ الذى تعلق

به « لانه يساعده على معرفة اعمال العظماء ، فى طلوعهم وزحف جيوشهم ، ولانه يعرض انتصار الامم واندحارها ، دصراع الطبقات ...» . هذا التعلق بالتاريخ من زاوية الماركسية ساعد برخت على التخلص من هواجس لا معقولية الوجود ومن الفكرة المرهقة التى تظهر له ان الكون مسير من طرف قوات فوضوية غير خاضعة لسلطان العقل . وبذلك اتضح له ان مصير الانسانية يسهل توجيهه ما دام التاريخ هو حصيلة النزاعات والحروب .

واخيرا نستطيع القول ان حياة برخت كانت عبارة عن اسطوره تصطدم فيها اتجاهاته الادبية وابعاده الايديولوجية . فقد كان يريد جعل مسرحه عبارة عن مخبر للقيام بعمليات ترمى الى احداث تغييرات فى الاوضاع الاجتماعية . وسوف نرى ذلك فى دراسة مقبلة نتصدى فيها لتحليل بعض مسرحياته التى يحتشد فيها الابطال المناضلون فى ايمان وشجاعة ، ضد كل القوى الفوضوية المعاكسة التى تريد محقهم دون ان تصل الى ذلك كما هو الشان بالله (الحظ الصينى) الذى اقبل الى مدينة دمرتها حرب ضروس ليعظ الناس ولحثهم على الجهاد فى سبيل سعادتهم ، على ان هذا الاله يصطدم بالمسؤولين فى المدينة ويساق الى المشنقة وفى ذلك يقول برخت : « ... والان سوف يمارس الجلادون مواهبهم اتجاه هذا الاله . على ان السموم التى قد يصبونها فى جوفه ستبدو له عسلا .. اما راسه التى ترقص فوق خشبة الجلاد فستنمو فى الحين .. لذا يستحيل ان نقبر رغبة الانسانية فى التشبث بالسعادة ...»

حسن المنيعى

انطــون تشيخــوف

الثــأر

(قصــة)

ترجمة : السيدة كوليت حبيــب

كان ليون سافونيتش تورمانوف ، وهو بورجوازى عادى يملك راسمالا صغيرا ، وزوجة فى ميعة الصبا، وصلعة متينة مضيئة، يلعب الويست ذات يوم عند صديق له يحتفل بعيد ميلاده.

وبعد ما تكبد خسارة مالية كبيرة ، وتصبب العرق منه حتى غمره، تذكر فجاة انه لم يرتشف شيئا من الفودكا منذ فترة غير قصيرة. فنهض من مكانه ، وسلك طريقه بين الموائد متبخترا علــى رؤوس اصابعه ، وعندما اجتاز البهو الكبير حيث يرقص الشباب ابتســم ابتسامة مفتعلة وهو يربت على كتف صيدلى فتى شديد النحول ، ثم اختفى وراء الباب الصغير المؤدى الى غرفة الطعام.

هنا ، وعلى مائدة صغيرة مستديرة انتصبت زجاجات الفودكا واقداحها... وغير بعيد من ذلك استقرت سمكة تم استهلاك نصفها تقريبا فى صحيفة فضية بين بعض انواع المشهيات من فجل وبقدونس وبصل أخضر. امسك ليون قدحا من الفودكا ، ولوح بيديه فى الهواء كمن يستعد لالقاء خطبه ، ثم شرب كأسه وقد اكتسى محياه بسيماء المرارة والعذاب ، وبعد ذلك اخذ شوكة وغرسها فى السمكة و ...

لكن أصواتا ترددت فى هذه اللحظة وراء الحاجز.

كان صوت نسائى ناعم يقول فى غنج ودلال :

ـ حسنا ولم لا ؟ ولكن ... متى سيكون ذلك ؟

عرف ليون ثورفانوف الصوت ، وفكر :

« زوجتى ! لكن برفقة من هى اليوم ، يا ترى ؟ »

واجاب صوت خفيض اللحن غليظه :

ـ متى شئت ، يا صديقتى .. اما هذا النهار فلا يوافقنا بالطبع ، وكذلك فانا مشغول طوال الغداة

وعرف ثورمانوف فى صاحب الصوت الغليظ احد اصدقائه . فقال محدثا نفسه :

« انه ديفتياريف ! ... حتى انت ، يا بروتوس ؟ اذن فقد رمته اللعينة فى شباكها هو الاخر ! يا لها من انثى لا تتعب ولا ترتوى. افلا تستطيع اذن ان تبقى يوما واحدا دون مغامرة. »

وتابع الصوت الهامس يقول :

ـ بلى ، غدا سوف اكون مشغولا . ولكن اذا شئت. اكتبى لى كلمة صغيرة غدا ... ولسوف اكون سعيدا مسرورا ... ولكن

علينا ان نتدبر امر المراسلة فيما بيننا ، يجب ان نؤمن وسيلة ما ، اما البريد فغير مضمون ، فاذا ما كتبت لك عن طريقه ، فان طاووسك قد يستولى على الرسالة من الساعى مباشرة ، واذا كتبت انت ، فان نصفى الثانى ستتلقى الرسالة اثناء غيابى وتفتحها بكل تاكيد ، وهنا الطامة الكبرى !

— ما العمل ، اذن ؟

— يجب ان نبحث عن طريقة اخرى ... اظن اننا لا نستطيع كذلك ان نستفيد من الخدم ، لان عطيلك يملك الى جانبه بدون شك الاجير والوصيفة معا ... اين هو الان ؟ اهو منهمك فى لعب الورق ؟

— بدون شك ، وهو يخسر على الدوام ، ذلك الابله !

فقهقه ديفنتياريف قائلا :

— ذلك انه سعيد فى الحب .. آه ! اليك ، يا عزيزتى ، الطريقة التى اكتشفت ... غدا ، وفى تمام الساعة السادسة ، سامر وانا فى طريق عودتى من مكتبى فى الحديقة العامة حيث سأقابل الحارس ، اذن فحاولى ، يا حبيبتى ، ان تضعى رسالة صغيرة فى اناء الرخام القائم يمين حديقة الكرمة . تذكرى جيدا ، الساعة السادسة تماما .

— حسنا ، ساتذكر ذلك جيدا .

— كم سيكون ذلك شاعريا وسريا ومبتكرا .. ان احدا لن يعلم به ، لا زوجك المكرش ولا زوجتى الوفية المخلصة . اليس كذلك؟

اما ليون سافونيتش تورمانوف فقد جرع كاسا ثانية وقفل عائدا الى مائدة اللعب . لم يفاجئه اكتشافه ، او يدهشه ، او

يثر حنقه .. لقد انقضى الزمن الذى كان يثور فيه ويتشاجر مع زوجته ويشتمها ، بل يضربها فى بعض الاحيان ، انقضى منذ امد بعيد. وهو قد خلص الان الى عدم المبالاة بتجاوز زوجته الطائشة حدود الطاعة والوفاء ، والنظر الى ذلك من خلال اصابعه .. مع ذلك فقد غمره شعور مقيت بالذل ، اذ جرحت كبرياءه تلك التعابير التى وصفاه بها ، من طاووس وعطيل ، الى زوج مكرش وابله .. الخ

واخذ يفكر ، وهو يسجل خسائره :

ــ يا لديفتياريف هذا من وغد لئيم على اية حال ! عندما نلتقى يتظاهر بانه الصديق الحميم ، ويبتسم حتى لتظهر نواجذه ويداعب بطنى ايضا ، واما الان فانظر فى اية كتل من الادران يغرقنى ، انه يعاملنى ، فى وجهى ، كصديق ، وما ان يدير لى ظهره حتى يصفنى بالطووس والمكرش ...

كان شعور النقمة يتعاظم فى نفسه بمقدار ما تزداد خسائره ... وكان يفكر وهو يحطم قطعة الحوار فى غضب شديد :

ــ ايها الابله ! ايها الشقى !.. لا احب ان اثير الفضائح او ارتكب الحماقات ، والا كنت قدمت لك شيئا من عطيل !

ولم يستطع ، ساعة العشاء ، ان ينظر الى وجه ديفتياريف بغير مبالاة ، بينما لم يكف هذا الاخير لحظة واحدة ، وكانت يفعل ذلك عامدا متعمدا ، عن اغراقه باسئلته : هل ربح ؟ هل خسر ؟ ولم هو حزين هكذا ؟ الى آخر ما هنالك من الاسئلة التافهة السمجة .. بل لقد بلغت به وقاحته ، باعتباره صديقا للعائلة ، ان عتب على الزوجة لانها لا تعنى العناية الكافية بصحة زوجها .. فيما الزوجة تشخص

الى زوجها بعينين طافحتين عذوبة ورقة ، وكان شيئا لم يكن ، وتضحك ببلاهة ، وتثرثر فى براءة ، حتى ليعجز الشيطان نفسه عن الارتيـــاب فى طيشها وخداعها .

وعندما رجع ليون سافوئيتش تورمانوف الى داره ، كـــان شعور بالخبث وعدم الرضى يتملكه ويسيطر عليه ، فكأنه تناول اثناء العشاء جزمة عتيقة بدلا من لحم العجل الطرى . ولقد كان ينسى ، اثناء تمالكه نفسه ، او يتناسى لو لم تذكره ثرثرة زوجته غير المنقطعة وابتساماتها المغرية وكلامها المعسول ، بالكلمات الوقحة والاوصاف الدنيئة التى كانا يصفا بها ! طاووس ، اوزة ، ابله ! ..

وأخذ الدم يغلى فى عروقه . كان يفكر :

« لو انى صفعته على الخدين ، ذلك الوغد اللئيم ! ... لو انى لقنته درسا أمام الجميع يحرمه مدى عمره ، مغازلة زوجـــات الاخريـــــن ! ... »

ولكن لا ! انه يفعل حسنا بطلب ديغتياريف الى مبارزة وقتله فكأنه عصفور دورى حقير ... او ان يتدخل ليطرده من وظيفته فيصبح عاطلا شريدا لا قيمة له ولا اعتبار ... او أن يضع فى اناء الرخام شيئا غير لائق ، شيئا منتنا ــ فارا ميتا مثلا .. او ... لا مانــع ابدا ولا ضير فى أن يسرق رسالة زوجته ويضع بديلا عنها بعض ابيات وقحة تحقره وتشعره بدناءته ، وتحمل هذا التوقيع : « حبيبتك الدلوعة » او شيئا آخر من هذا القبيل .

وظل تورمانوف يذرع ارض مخدعه جيئة وذهابا حتى ساعة متاخرة من الليل ، مستغرقا فى هواجسه هذه يفكر فى وسيلة يطفىء بها غليله ، وتكون على قد هذا الصديق الوفى !

وفجاة ، توقف ولطم جبهته بيده .. وصاح :

ــ مرحا ! لقد وجدتها .

وتالق وجهه سرورا وارتياحا :

ــ سوف يكون ذلك رائعا ، رائعا حتى اقصى الدرجات !

واذ استغرقت زوجته فى نوم عميق ، جلس الى مكتبه ، واجهد ذهنه طويلا ، ثم بدأ يخط ما ياتى ، مشوها كتابته ومختلفا اخطاء فى الاملاء :

« الى التاجر دولينوف .

سيدى المحترم ،

اذا لم تضع اليوم ، الثانى عشر من ايلول ، قبيل الساعة السادسة مساء مبلغ مائتى روبل فى اناء الرخام القائم فى الحديقة العامة عن يسار جناح الكرمة ، فلسوف تقتل ويتطاير مخزنك شظايا فى الهواء ... ولقد اعذر من انذر ... »

وعندما انتهى ليون سافوئيتش تورمانوف من كتابة هذه الرسالة ، انتفض فرحا وسرورا ، ثم غمغم وهو يفرك يديه ببعضهما :

« اليس ذلك رائعا ، يا تورمانوف ؟ مدهش ! ابليس نفسه لن يجد انتقاما افضل ! ان التاجر المسكين سيذعر طبعا ويعلم الشرطة بالامر ولسوف تاتى الشرطة لتختبىء فى الادغال المجاورة وتطبق على عنق عاشقنا المدله الولهان عندما ياتى سعيا وراء الرسالة ، فى الساعة السادسة . لشد ما سيكون ذعره عظيما فى الساعة السادسة ! وقبل ان تتضح القضية وتثبت براءته ، فان الشقى سيذوق من العذاب الوانا ومن الحقارة والذل الوانا والوانا .. مرحى

والصق ليون تورمانوف طابعا على الرسالة وحملها بنفسه وفى ذات الليلة ، الى احد صناديق البريد ، ومن ثم عاد فنام كما لم يسبق له ان نام منذ زمن طويل . وحين افاق فى صباح اليوم الثانى تذكر خطته الجهنمية ، فطفق يدمدم مبتهجا مسرورا ، بل لقد داعب ذقن زوجته الخائنة مودعا اياها على غير عادته ..

وحين غدا الى عمله ، وبينما هو جالس وراء مكتبه فيما بعد، لم تفارق الابتسامة شفتيه وهو يتخيل هلع ديفتياريف وهو يقع فى الفخ.

لم يستطع ان يتمالك نفسه حوالى الساعة السادسة، فاسرع الى الحديقة العامة كى يستمتع برؤية ياس غريمه .

وحين التقى فى طريقه باحد رجال الشرطة غمغم بتشف : ((آها !))

ولما وصل الى جناح الكرمة جلس تحت احدى الخمائل وطفق ينتظر ، شاخصا الى الاناء بعين نهمة . أن فراغ صبره يتجاوز كل حدود !

ولاح ديفتياريف فى تمام السادسة ، بادىء الانشراح ، وكانت قبعته العالية مدفوعة الى الخلف فى شىء من الادعاء والكبر. وكان يبدو أن روحه تطل مع صدريته من تحت معطفه المحلول الازرار. كان يدمدم ويدخن سيجارة .

اغتبط تورمانوف سلفا ، وراح يخاطبه فى حنايا نفسه :

((يا للعقاب الذى سوف تناله من الطاووس وعطيل ، رويدك! انتظر برهة ! آن الرسالة التى تمنى نفسك بها اصبحت الان نتفا تتراقص على صفحة مياه الفولغا !

واقترب ديفتياريف من الاناء ، وغمس يده فيه على مهل ...

اما ليون سافونيتش فقد نهض على قدميه مصعوقا ! ... وراح يلتهمه بانظاره ! ... ان احدا لم يقترب منه ! ... حتى ولا رجل بسيط من رجال الشرطة ! ...

وأما الفتى فقد اخرج من الاناء رزمة صغيرة ... واخـــذ يتفحصها من جميع اطرافها ، ثم هز كتفيه وشرع يفتحها بتردد ، وما ان ظهر محتواها حتى هز كتفيه مرة اخرى وقد بانت دهشة لا توصف على محياه . لقد كانت ورقتان ماليتان كبيرتان في الرزمة ! .

تأمل ديفتياريف هاتين الورقتين طويلا ، واخيــرا ودون ان يكف عن هز كتفيه دفعهما في جيبه وهو يتمتم : ((شكرا)).

سمع ليون تورمانوف البائس بكل وضوح ، هذه الـ ((شكرا)) وهو يكاد يغمى عليه من هول الصدمة .

ولقد قضى بقية الامسية حائرا أمام مخزن التاجر دولينوف ، مهددا لافتته بقبضة يده ، هامسا في حنق شديد :

((ايها الجبان ! ايها البائع ! ايها الجبان الحقير ! اهذا كل ما استطعت ان تفعله ايها الارنب المكرش ! ؟ ...

كوليـــت حبيـــب

محمــد بنميمــون

العـــار

انــا هــنــا يــا رفيــق الــدرب يــا حلمى
رؤى مــمــزقــة يــلــفــهــا الــعــار
فغــيــمــة مــن غــبــار الــغدر تخنقنى
والافــق حيث بسطــت الــطــرف اعصــار
والــكــوخ مــاواى مــا درت بعــتــمــتــه
شمــس ولا بســمــت ببالبــاب ازهــار
والارض !؟ ــ يــا لفداحة المصاب ــ الا ..
.. هة النــمــاء ، بــضــاعة وتــجــار !
وحولى اللــيــل شــاخــت الــدهور ومــا
لاحــت بــمــفــرقــه لــلــفــجــر انــوار
ومــن بعيــد ، وراء الــغــاب ، مســرجة
مكــتــضــة بــدمــاء اخــوة ثــاروا

تـرنـــو ، قتلتهم الغـــيـــوم جـــذوتـــهـــا
ويـــزخـــر الـــدرب بالظلـــماء .. والـــدار
ويسط الزيـــف حالك الــــرداء وتـــد..
..ضـــن الخفـــاش مسارب واوكـــــــار
حكـــايـــة الغـــول !، احـــلام مـــجـنـــحـــة
يهيـــم فيـــهـــا ابـــى ، ويـــذهـــل الجـــار
حـــتـــى يعصـــب رائـــق الكـــرى مـــقـــلا
يمـــيـــت شعلـــتـــهـــا اتـــخـــمـــد الـــنـــار

ربيع مبارك

زعطوط

(قصة)

ـ يا فتاح يا رزاق . وضرب احمد يدا بيد مبتهجا وابتسامة عريضة تنير وجهه . يوم جديد ورزق جديد . ودفع عربته بيده ، مبتعدا عن ضجة سوق الخضر ، وبساط الورد يتقدمه : الطماطم والمشمش والبرتقال يجب الا يبدا باكثر من هذه الثلاثة . انه يومه الاول فى تجربة العربة اليدوية . هذه الاصناف نافقة . فقط يجب ان تتوقف فى اختيا رالمكان المناسب للوقوف . ليكن اكبر طريق للعمال . لا تنفرد منذ اليوم الاول . المبتدىء يتبع . اقتفى اثر اصحاب العربات ومر فى الطريق بحانوت تبغ ، فاشتاقت نفسه لتدخين لفافة . اربع سجاير «كازا» لا أكثر ، سيعوضها الربح . لا حاجة الى علبة ثقاب . هناك الكرماء . والله يعفو عليك تفى بالحاجة .

وعاد يدفع عربته الى ان توسط شارع اولاد زيان ، حيث ملتقى الطرق الرئيسية الى المدينة القديمة والحديثة واحياء الضواحى

وحيث طريق اكبر كتلة بشرية من عمال الميناء والمعامل الصغرى . هناك توقف اصحاب العربات ، واختار كل منهم مكانا يبتعد بنسبة ما عن غيره . وحدث احمد نفسه : امسك العصا من الوسط، فتوسطهم ومر بيده على السلعة يتفقد ترتيبها وينظم من عرضها : مشمش اولاد الناس ، وطماطم الحاذقات ، وبرتقال الاعراس . وراودته رغبة فى ان يتذوق مشمشة واحدة ، ولكنه كبحها بحزم ، او على الاصح تخوف من ان يصدمه قول زوجته القاسية زهرة ، وهى تنذره بلسانها السليط :

ـــ « فلوس اللبن يديهم زعطوط ».

لم تكن زهرة من رحابة الصدر بحيث تشرح له من هو زعطوط ليتجنبه . ولعلها بسبقها اياه الى حياة المدينة قد اكتسبت كلمات جديدة ، ولكنها لا تتنازل عن كبريائها لتشرح له. غير انه الان ، ونفسه ترغب فى التهام المشمش بدأت تتكون لديه فكرة عن زعطوط .

ستفشل معى يا زعطوط .

واخذ سيجارة يداعبها بأصبعه حتى واتت الفرصة :

ـــ الله يعفو عليك يا اخى ...

وتوقف راكب الدراجة واشعل له السيجارة ، وعاد احمد الى مكانه عند العربة . احس بانه طويل طويل الى حد الاعجاب .. قوى ورجل، وجذب نفسا طويلا من لفافته بخيلا بدخانها ان ينفث فى الفضاء انه يملك ما امامه ، هذه المائدة الوردية الشهية له وحده ، يتصرف فيها كما يريد . باستطاعته ان يلمسها بلطف ، ويرتب ما فوقها ، وباستطاعته ان ينثر كل شىء على الارض ، ويدوسه برجليه ، كما تدوس الدواب الزرع ابان الدراس ... هناك .. باستطاعته ان

يفعل ذلك لو اراد ، ولكنه لا يريد . وكيف يفعل انسان شيئا لا يريده ؛ ورضى عن نفسه اشد الرضى فمط جسده فى الفضاء ، وتمنى لو تراه زهرة ، فى هذا الموقف المسيطر ، آه لو تراه ... لو تراه يدخن ... واستعاذ بالله من الفكرة . الجحيم ولا هى . منذ سنتين لم يقف الا على صوتها المجلجل فوق راسه :

ــ اسيادك يعملون ، وانت ناعس الى الظهر كالعروس . طويل الله يحفظك . انا ابتليت بضرة يا ناس . بماذا تقطرين يا ضرتى العزيزة ...

وعبثا يحاول ان يرفع صوته ليفهمها ان الحظ يعاكسه منذ فصل عن عمله القديم .

ــ اسيادك يشتغلون فى المرسى .. فى البناء .. تحت الارض .. فوق السماء وانت ناعس يا بارد ..

ولا تريد ان تفهم انه يجد باحثا عن شغل ، وان سبب تعبه ، جريه المضنى ، وراء العمل ، انه يتعب فى البحث اكثر من اى عامل ،

ــ مسكين انت وحدك لا تجد الشغل .. الله يكون فى العون يا خيتى .

ولا يجد الراحة الا فى الفرار من البيت الى الشارع باحثا عن الامل دون جدوى حتى يعود فى المساء منهكا ليرتمى فى النوم العميق .. ليعود كل شىء من جديد . ومنذ يومين فقط ، اختمرت فى ذهنه فكرة ، كيف غابت عنه طوال هذه المدة ؟ انه الخوف من زهرة ولا شك هو ما عطل تفكيره ولعن لسان زهرة : مهما يكن من لطفها فلسانها وثورتها .. اعوذ بالله . وذات مساء :

ـ زهــــرة

ـ نعم يا ضـــرتـــي

كفـــى عن هذا ، والا فلن ترى وجهى قط ..

ـ غبية جـــدى

ـ اخرسى انا زوجك وانت امراتي

ـ الرجال تصنع المعيشة ، تخطفها من فم الحنش ، وانت تنعـــس الى الظهـــر ..

لو انها تفهم فقط ان الاحناش اختفت من الدنيا ، او انهـــا اطبقت افواهها ، باخلة بالسم على مريديه . وازداد احمد ثورة .

ـ اسمعى ، لا حنش ولا فم ... وجدت شغلا . اقتـــربـــت من مجلسه محدقة فى دهشة ثم اطلقت زغرودة طويلة .

ـ مبروك . اين ؟ متى ؟ كيف ؟ قل ...

ـ انما يلزم راس المال يا زهرة .

نزمت شفتيها ، وضيقت ما بين عينيها ، فى حذر . لم تعلق بشىء ، وغاضت حماستها . اما هو فتابع بهدوء ، ينظر ساهما الى الارض ، وكانما يخاط بنفسه :

ـ قلت فى نفسى ان زهرة تملك دمالج و .. بعض اشيـــاء اخرى .. وافعل كما يفعل الرجال : عربة وميزانا وخضرا ، وربنا يفتح ، ويرجع راس المال لزهرة ويصبح احمد علملا ...

ـ فلوس اللبن يديهم زعطوط !

وثـــار بهـــا احمد :

ـ من زعطو طهذا ؟ فهزت كتفيها ولم تجب ، فكظم غيظـــه وعاد اقناعها بشىء من الهدوء :

ـ انا لا اعرف زعطوطا هذا .. ولكني واثق من قوتي انا لم اغلب ابدا .

لم تحرك ساكنا فعاد بلطف كبير :

ـ يجب ان تفهميني ... زهرة .

وقضى ليلة في افهامها حتى تراخت :

ـ لا استطيع ان اعطيك اكثر من قيمة مائة درهم وهمسي

ـ عشت يا زهرة لاحمد . ساكترى العربة ، والميزان آخذه من عند الشلح .. انت السلعة فقط .

لا تفي بكل شيء .

ـ قال بغبطة :

وثم كل شيء ، وها هو ذا يقف في اول يوميه لون الورد . ينعكس على وجهه ، والسيجارة تحترق بين اصابعه وزعطوط مكتوم الانفاس في داخله . وبدات حركة البيع منتصف النهار . وتأفف بعض الزبناء بشطارة حاسة المشتري :

ـ المشمش حامض ... الطماطم غالية ... البرتقال مكوى .. ومع ذلك صادف نجاحا : بضع كيلوات من كل صنف . وفي المساء كان حظه احسن ايضا .. كيلوات اخرى ، وكان آخر من انصرف من اصحاب العربات ، وحسب ما عنده فاذا هي عشرون درهما ، ربحها ربح خالص ، نثر الجميع امام زهرة ، فاستبشرت واكتست لطفا ولكنها كرب المال امتنعت من ان تسمح بشراء سلعة جديدة قبل نفاذ الاولى ، فاقتنع بالفكرة ، وكان في الغد في مكانه كانشط ما يكون ، وما كاد ياتي الاصيل ، حتى بدت الطماطم باهتة

امام نضرة الاخرى عند اصدقائه ، عاود ترتيبها ، ولكن عبثا فقـد بدات تظهر فى وجهها التجاعيد وقد لاقبال الزبناء عليها ، فاقتصرت نتيجة النهار ، على بضع كيلوات من المشمش والبرتقال ، الف فرنك اصلا وفرعا . وفى الغد كانت الطماطم قد شاخت وتجعد اديمهـا حاول ترتيبها ، فغاصت اصابعه ، وفاحت رائحتها الرطبة معلنـة تهرؤها ونفاذ طاقتها، فعول على حسم الداء ، وبدا يرمى المطويـة منها : واحدة اثنتان .. عشرة .. ثلاثين .. زعطوط زعطوط انت بلا ريب يا طماطم. ورماها جملة وعاد ينظف العربة من مائها . كيف يعوض الخسارة ، لم يعد هنا كمجال للربح ، هل يفى المشمش والبرتقال بالحاجة ، راس المال ، زهرة ، على الاقل ، وتمنى ذلك من كل قلبه . وعاوده الاطمئنان حينما اقبل بعض الزبناء على البرتقال والمشمش انه يقترب من العشرين درهما يجب ان يبلغ العشرين ، ويلغها اخيرا حين عم الظلام ، وبدا يدفع العربة عائدا الى البيت . فاتحته زهرة :

ـــ كيـــف الحــــال ؟

ـــ عــلى مـــا يــرام ..

ـــ راس المال ..

ـــ والـــربح مضمـــون .. دعينا ننام ، انا تـــعـــب جدا . الحســـاب عند الصبح .

وتسلل صباحا قبل ان تجد الفرصة لمحاسبته ، احـــس بانحطاط فى قواه ، ووجد فى هذا اليوم عزوفا من الزبناء عن بضاعته وعند منتصف النهار استطاع بابتسامة مفتعلة ان يجلب احدهم :

ـــ كـــم المشمش ؟

ــ نصف فدرهم . وتفحص الزبون المشمش وتمتم :

ــ معطوب . لم يسمع جيدا ولكنه ادرك ان حاسة المشترى تفعل فعلها فدافع عن بضاعته :

ــ حلو والله حلو ، خذ باربعين فرنكا ، ذق اولا .

ــ خامج . قالها الزبون منصرفا وبقيت الكلمة تفعل فعلها فى اذن احمد . خامج كيف ؟ وبدا يتفحص المشمش ، فاذا بانصافه السفلى ملتحمة ببعضها . عطب شامل بالرغم من تورد الانصاف العليا . من اين يدخل العطب ؟ زعطوط آخر بدون شك . ورمى بالبضاعة الفاسدة خلفه بمرارة . الخسارة مضمونة يا زهرة . لم يبق الا البرتقال ، فاقبل عليه يتفحصه بلهفة ، سليم الحمد لله . لن ياتى بالربح ولكنه يقلل الخسارة . وبذل مجهودا عظيما لجلب الزبائن وتقلصت عضلات وجهه ، من تكلف الابتسام ، وجف حلقه بالنداء ، وحصل على ما يشجع لم يبق الا كيلوات قليلة ، وانصرف اصحاب العربات عند بدء الظلام ، ولكنه ظل يأمل مع ذلك . الزيادة خير كيلو واحد خير من الانصراف ، وظل يترتب ، ولاحت له اضواء دراجات قادمة من بعيد ، فعول على الا ينصرف قبل ان تجتازه . ها هى ذى تقترب ، تتجه نحوه ، تتوقف ، برتقال يا ابن الحلال . .

وصاح به احد الشرطيين الثلاثة :

ــ سق العربة وتقدمنا .

لم يكن هذا فى الحسبان يا زهرة يا راس المال . وفى مركز المصادرات افرغ البرتقال مع غيره من البضائع ورمى العربة بجوار اخواتها المحجوزة وخاطبه الشرطى :

ــ الان انصرف .

واغلق باب المركز دونه ، فأحس بحرية تثقل يديه ، وفراغ يملؤه . وتساءل الى اين ؟ زهرة .. الشلح .. صاحب العربة . لا .. احس بان شيئا ما ، شخصا ، يهزا منه في محنته ، تلفت لم يجد شيئا ، ولكن الشعور الح عليه . زعطوط ، أنت تتشفى منى . وتراءى لـه كائن بشع يضحك ، يقهقه ، بعينين مشمشتين ، وخدين حمراوين كطمطتين مهترئتين ، واسنان من بذور البرتقال . اخسأ يا زعطوط لن تهزأ منى . وعاد احمد ادراجه الى المركز . طرق الباب ففتح الشرطي:

ــ من انــت ؟

ــ انــا من يريــد عربته .

ــ اذهب سالما

ــ الــى ايــن ؟

ــ حيث تشاء

ــ اشاء حيث العربة والبرتقال

ــ لم نرد ايذاءك

ــ اريد ايذاءه

ــ مــن هــو ؟

ــ هــو

ادخل ، اذن ما دمت لا تفضل السلامة ، احجزوه .

احس احمد براحة الحجز تشمله ، نسى زهرة والمال وكل شيء ، واختفى شبح زعطزط عن بصره ولكنه أحس به يترعرع في داخلـه .

البيضـاء : م. ربيـع

ابو العزم عبد الغنى

مفهوم الجثة في روايـة أميديه

بمناسبة تقديم مسرحية اميديه ليوجين يونسكو على مسارح المدن المغربية ، والتى اقتبسها الطيب الصديقى تحت عنوان « مومو بوخرصة » اود ان اقدم دراسة لمسرح يونسكو على ضوء مسرحية اميديه ، وخصوصا أن كثيراً من رواد المسرح لم يفهموا بعمق رواية اميديه وعلى الخصوص بعض الذين تناولوا رواية « مومو بوخرصة » بالتحليل والنقد، على صفحات الجرائد لان مسرح يونسكو يمتازبالغموض والابهام والمتناقضات المبهمة فى التناقض . وتشخصياته ممتدة فى سلسلة عميقة من التناقضات الذاتية والفكرية والاجتماعية .

وقبل ان اتناول رواية اميديه ، اقدم اولا هذا التساؤل :

من هو يوجين يونسكو ؟ ولنعرف مقدما مؤلف الروايـة لان هذا يهمنا جدا .. يوجين يونسكوا هذا رومانى الاصل ولد بمدينة سلاتينا عام ١٩١٢ من اب رومانى وام فرنسية ، وعاش فى سنواتـه

الاولى مشتتا بين باريس ورومانيا ، مما جعل لسانه تشويه اللكنة الرومانية عندما يتكلم الفرنسية ، وهو منذ صغره كانت تمجز امه على ان تنتزعه من التفرج على مسرح البوليشنيل فى حديقة اللوكسمبورغ ، وهو نفسه يقول عن هذا الطور الاول من حياته :

« كان بوسعى ان ابقى هناك اياما بطولها مسحورا ماخوذا ، لكننى لا م‍اكن اضحك ، كان مشهد البوليشنيل والدمى التى تتكلم وتتحرك وتتعانق يسمرنى على مقعدى كالمخبول ».

يونسكو عندما بلغ الثانية عشرة كتب مسرحية لم يذكر اسمها ، وكذلك كتب مسرحية فكرية ووطنية فى الثامنة عشرة من عمره ومن ذلك العهد لم يكتب للمسرح الا عندما بلغ من العمر السادسة والاثنين . وعندما سالته الكاتبة الفرنسية كاترين فالونى كيف جاء الى المسرح ، اجاب : « لقد جاءت (المغنية) وحدها اردت ان اتعلم اللغة الانجليزية فتبينت ان المحادثات التى نجدها فى كتب تعليم اللغات تبعث الى الوجود حياة يومية مسطحة وغير عادية مما انه عالم مسىء بالشخصيات يتحدث لغة هى سخرية من اللغة واستهزاء بها ، وكان مسرحى يعكس شعور الدهشة امام ما هو كائن ، ان داخل الحياة واعماقها شىء رهيب مقرف له هدوء مسطح ، وهناك شىء اشبه بحاجز او ستار وبين شىء آخر لا يمكن تسميته ، ان الوجود يبدو لى غير مفهوم، ومضحك ويحمل على السخرية والهزء فى نفس الوقت ، وهذه الحياة التى تحيط بها تبدو فى عينه غاية فى الغرابة وهى تدهشنى ».

بهذا التفكير العميق فى الاضطراب والتناقض والدهشة جاء يونسكو الى المسرح ، وهو عندما بدا يتعلم اللغة الانجليزية اكتشف

اكتشافا تغريبية ومذهلة وحقائق عجيبة ، فهو مثلا ، اكتشف ان فى الاسبوع سبعة ايام ، وان للحجرة حوائط اربعة ، وان السقف يقع فى اعلى الحجرة ، الى غير ذلك من الاكتشافات التى اكتشفها فى كتاب المحادثة للاطفال الصغار . من هذه الاكتشافات العادية بدات مدهشة امام ما هو كائن .

فالجثة مثلا ، التى تنمو يوما عن يوم فى رواية اميديه ، وتتضخم بشكل مفزع ومثير ومدهش امام انظار زوجين يعيشان فى انقباض واندهاش ، وامام سخرية وحقيقة غير واقعية ، ماذا تعنى بالضبط ومعنى جثة تنمو ، انها الرمز لمفهوم قد تختلف فيه اختلافا ، ولكنه يؤد ى الى معنى كائن ، موجود ، يعيش معنا ، يصرعنا ، يخيفنا ، يبث فينا انواره المزيفة ، ان الجثة عندما تنمو فهى فى المألوف المعتاد مضاد لكل ما هو معروف ومصطلح عليه فى الحياة ، ولكن هى الرمز الذى يغزو تفكيرنا ويبلبله ، انها تعنى كثير من الافتراضات والاحتمالات المشحونة بكثير من الرؤية والتفسيرات والمفاهيم التى ربما قد لا تختلف اذا نحن تصورنا اولا الفترة الزمانية التى خرج فيها مسرح يونسكو بل المجتمع الذى صدرت عنه مسرحياته ، والانعكاسات الخاصة ، واننا نجده مجتمعا يعبق بروائح الرأسمالية والاحتكارات الاستعمارية والتاثيرات التى يتركها ، كما نجده يعيش انتفاضات ثورية ، وفى الوقت الذى عرفت فيه الاداب العالمية ادب الطليعة والثورة ، بهذا التفسير الاولى يتجلى لنا بوضوح الاصداء التى يمكنها ان تتجاوب فى تفكير يونسكو ونفسيته ، وهو الذى لا يكتب الا بعد معاناة حقيقية ، ونتركه يحدثنا عن نفسه ، ومعاناته عندما يرغب فى الكتابة : ((لكى اكتب احتاج الى ١٢ ساعة من الاحلام والحرية

والقلق تاخذ بالتطور تدريجيا ، لكى اكتب مسرحية ، احتاج الى خمسة او ستة اسابيع انفى املها ، وعندما تنتهى فانى لا انقح فيها الا قليلا جـــدا)).

فهذه الممانا فتعطينا اولا صورة عن يونسكو ، على انـــه يكتب عن وعى وعمق ، لان من يسمع كلمة اللامعقول يتخيل على أن كتا باللامعقول يكتبون بلا وعى ، ويهذرون فقط ، وانى انكر هنا ان يونسكو يتضايق من كلمة اللامعقول ، ويعتبرها كلمة دارجية ولكنه يتفاءل بانها لن تعود هكذا فيما بعد وهى منذ الان كلمة غامضة ولا تعنـــى شيئا .

بعد هذه المقدمة لمحاولة تقديم خطوط عريضة لمفهوم روايـــة اميديه ، بالرغم من ان مفاهيم النقاد حول مسرح يونسكو وبيكيت ودرنيمات يختلف من آن الى آخر ، ويختلفون فى تقويم انتاجاتهم مما يجعل كثير من هؤلاء المؤلفين يصرحون بانهم انفسهم لا يعرفون مـــا يقولونه عن شخصيات مسرحياتهم ومفاهيمها .

ولكن مفهوم النقد وعمله لا يخضع الى مثل هذه التعليلات وان كانت المفاهيم تختلف حول عمل ادبى ، فذلك مجال للزيادة مـــن التحليلات المعقولة ، ومحاولة تقريب وجهات النظر حول عمل ما ،

ورواية اميديه التى قدمها الطيب الصديقى من اقتباسه لمتحط مع الاسف بتحليل نقدى ادبى ، بل كل ما كتب عنها هو من باب العمل الصحفى ، وتلخيص الرواية فى اقتضاب ، مع الشعور الخــــاص نحو الرواية ، وكلمات مقتضبة طافت حول المضمون ولم تصل اليه ، فالذين كتبوا حول اميديه لم يفهموا الرواية بعمق .

الا ان الزميل حسن المنيمى كان اكثر فهما لرواية اميديه من الناحية الفلسفية عندما قال : ((على ان هوان كان قد تحدى التحليـــل الطويل (اى يونسكو) فى هذه المسرحية فقد جاءت حاملة لاغراضـــه الفلسفية تعبر فكرتها عن حالته النفسية التى تزلزلها الهواجـــس ويدوها التمزق ، فكانت بذلك رمزا قويا لاختناق العقل بتناسلية المادة وتعددها)) اما تفسير الاخ المنيمى للجثة فهو يرى : ((انما هى جثـــة حبهما الميت الذى كان ضحية سوء تفاهمهما من الناحية الجنسية وعدم انسجامهما ، والاخ المنيمى بالرغم من انه يرى ان الجثــــة تعنى حبهما الميت فهو يحمل مفهومه للروايـــة بقولـــه : ((واذا كاد ت المسرحية هزلية كما يقول مؤلفها فانها هزلية تدفع الى التحرر والانعتاق والانسلاخ من الماضى واعادة حياة جديدة))٠

واعتقد مع مفهومى الخاص ان هذه النظرة تقترب من مفهوم الرواية ، وان كان الاخ لم يوضحه اكثر ، اما الذى يهمنى فى الرواية بالدرجة الاولى فى هذا الحديث فهو الجثة ٠ ومع هذا لنتعرف اولا على اميديه بطل الرواية ، اميديه هذا يعيش تناقضات كبيرة وعميقة بـــل تناقضات مفرقة فى التناقض ومن هذه الناحية يصعب علينا ان نحدد ملامح اميديه ولن نقول عنه سوى انه الرجل الطيب بالرغم مـــــن السلبية والتواكل والعياء الجسمى والفكرى ٠

وشىء مهم جدا فى الرواية وقصده يونسكو عن عمد هو اظهار سلبية الرجل امام ايجابية المراة فى عصرنا ٠٠٠ وكل مفردات السام تصدق على اميديه ومادلين وهما معا يعانيان الملل والضيق ، ويعيشان بلا حب منذ اكثر من خمسة عشرة سنة ، منذ وجود هذه الجثة ،،، الميت الذى يكبر ويترعرع ، وانا لا استطيع ان اقر بانها تعنى حبهمـــا

الميت فهما يعيشان فى بيت واحد ، فهناك الرغبة ، والرغبة قد تلــد الحب ، وعلى كل فان التناقضات الكثيرة الموجودة فى الرواية لا نستطيع معها ان نجزم بتحديد مفهوم خاص نحو علاقاتهما اهى مفعمة بحب ام لا .

ونعود للجثة ،، اذكر اننى قرات مقال بعنوان الخطــوط العريضة فى مسرح يونسكو بقلم الدكتور نعيم ، يرى ان الجثـــة تعنى من ذلك ان التهكم ذو طابع مزدوج ، فهو من ناحية تدميرى اذ يهدف الى تحطيم المظهر المالوف للوجود ، وهو من ناحية اخرى بناء او ان التهكم يقيم امامنا عالما جديدا . وهذه النظرة العامة تعنى هيكل الرواية العام ، ولن ناخذه الا من الناحية الثانية اى البناء ، وفى نفس المقال يذكر الدكتور نعيم ان السرياليين اعتبروا انتاج يونسكو ابــدع وامتع ما وصلت اليه السريالية فى مجال الدراما :

« وقد كان من اساليب السريالية ما يسمى (بـالاشيـاء السريالية) فقد دعا السرياليون الى عدم الاكتفاء بالرؤى السلبيــة وطالبوا بتجسيم الرؤى اللامعقولة ، وتشييد موجودات سريالية مــن شانها اذا قامت الى جوار الموجودات الواقعية ان تزعزع النظـــرة المنطقية الى الوجود ، وقد برع يونسكو فى استخدام هذا الاسلــوب مبتدعا فى مسرحياته مثل الجثة فى اميديه .

ويونسكو نفسه يؤكد انه يسير فى مذهب السريالية ، وان كان لا يعتبر انه واحد منهم ، فالسريالية مجسمة باطار كبير فى رواية اميديه فلقد كانت الجثة رؤية لا معقولة ، ولكن الشعور بالاحساس الجارف عندما تفهم المضمون العميق للرواية يقوى وتتحول تلك الرؤية الــى معقولية والى نظرة منطقية نحس بها كلما بدات الجثة تتحرك وتنمو وتترعرع او كلما كان الحديث يدور عنها .

فماذا تعنى الجثة التى ادخلت الرعب والفزع فى نفوسنا ، وبديهى فاننا سنحال الجثة عند اميديه لا عند « مومو بوخرصة » وان كان الامر لا يختلف ما دام الصديقى حافظ على هيكل الرواية بدقة متناهية ، لكن الحوار يلعب دوره فى مفهوم الرواية ومضمونها ، فانا اخالف من يرى ان الجثة هى قدره وواقعه ، ما دام هذا القدر وهذا الواقع لم يحلل تحليلا نقديا كما انى اخالف من يرى انها تعنى حب مادلين واميديه الذى مات واخالف كذلك من يرى انها تعنى الوضع ،

واعتقد ان يونسكو عندما كتب سنة ١٩٥٢ رواية اميديه كان لا يزال متاثرا لما خلفته البرجوازية الاستعمارية فى فرنسا خاصة ، وبالحركات السياسية الاستعمارية التى توالت اتباعا على بلاده الاصلى عامة ، من رومان الى اتراك ، الى يونان الى ملكية مطلقة انتهت بالسقوط فى عهد شارل الاول سنة ١٩٤٧ فهذه الحركات السياسية الاستعمارية كانت تعيش فى التمزق الذاتى والنفسى ليونسكو ، كان كل ذلك يعيش فى عمقه بكل ضجره عتقة وسامة ، لما خلفته تلك الحركات الاستعمارية فى رومانيا والتاثير الكبير الذى تركته فى الشعب الرومانى فى اغلب الميادين العامة .

فبديهى جدا وواضح الان ان الجثة فى رواية اميديه او كيفية التخلص تعنى الاستعمار بكل وجوهه ، الجرثومة التى تقتلها بكل عنف وتخرجها من الباب وتعود لتدخل من النافذة لتحيا من جديد وتعشعش كالمنكبوت ، بل لتنمو من جديد ، ولتترعرع ، زيادة على التاثيرات المختلفة التى تتركها داخل المجتمع ، والانغلاق المادى والمعنوى الذى يحاول ان يفرضه ، والعزلة الموحشة التى يعمل لتثبيتها ، زيادة على الحصار الاقتصادى المفروض وهذا ما كان واضحا جدا بكل ملامحه

فى روايةامیدیه ، والذى يعطينا صورة عن الشكل الاستمرارى بالرغم من موته وقتله ، اما كيفية التخلص منه تتجلى فى وضع الجثة فى الشارع العام عند العامة ليقرروا مصيره وليفهموه بعد ان ادى اميديه رسالته

وبديهى جدا انى لم اتعرض فى هذه الدراسة سوى الـــــى الجثة وتحليلها تحليلا معقولا يتفق مع مفهوم الرواية ومضمونها امـــا المفاهيم الاخرى التى تدور فى الرواية وما اكثرها فهى تستحق دراسة خاصة .

الـــربـــاط عبد الغنى ابو العزم

ارنيست همنغواى

قطـــة تحت المطـــر

(قـــصة)

لم يكن فى الفندق الا امريكيان لم يعرفا إحدا من سائر الزبائن الذين كانا يقابلانهم فى الدرج كلما صعدا الى الغرفة او نزلا منها.

كانت الغرفة فى الطابق الثانى تطل على البحر ، وتعطى نظرة ايضا على الحديقة العمومية ونصب الشهداء.

فى الحديقة نخل فارغ ومقاعد خضر واذا ما صفا الجو كنت ترى احد الرسامين مع مسنده .

كان الرسامون يحبون شكل هذا النخيل ونصاعة الــوان الفنادق المطلة على الحديقة وعلى البحر ، والايطاليون يقصدون مـــن بعيد نصب الشهداء ، المخدوم من النحاس ، المتلالىء تحت المطر . كان المطر يتهاطل، ويتقاطر من النخيل وتتجمع ضايات صغيرة فى ممرات

الحصن والبحر يجرى على طول الشاطىء ثم يتراجع ليعيد الكـرة على الرمل من وراء ستار المطر .

كان الميدان جنب نصب الشهداء قد خلى من العربات وقبالة الفندق وقف نادل على باب المقهى ، يشاهد الميدان الخالى .

وقفت الامريكية قرب النافذة ، تنظر الى الخارج . فى الحديقة تحت النافذة بالضبط ، قطة لاذت باحدى الموائد الخضر المتقاطرة بالماء متداخلة المضلات لتتجنب القطر .

قالت الامريكية : ((سانزل لاخذ هذه القطة)).

فعرض الزوج وهو على السرير ((سأذهب انا)) .

((لا .. انى نازلة .. هذه الهريرة المسكينة ، تحاول ان تتقى بالمائدة !)).

استانف الزوج قراءته ، وهو ممتد ، راسه على وسادتيـن فى مؤخرة السرير .

((لا تبتلى !))

هبطت . قام صاحب الفندق وحياها عندما مرت به . كـان المكتب بعيدا جدا داخل الصالة وكان هو شيخا مسنا طوالا .

قالت بالايطالية ((مطر متهاطل !)) كانت تحب صاحب الفندق هذا جـدا .

((نعم يا سنيورة ، طقس قبيح ، قبيح))

كان واقفا وراء المكتب ، بعيدا داخل الصالة المظلمة . وكانت السيدة الشابة تحبه ، تحب هدوءه وبرودته وهو يستمع لاى احتجاج، تحب وقارة واستعداده لاداء اى خدمة وفهمه لمهنته، تحب وجهه المسن المثقل ويديه الغليظتين .

فتحت الباب وهى على هذه الانفعالات والقت نظرة الــى الخارج . كان المطر شديدا ويخترق الميدان الخالى رجل يلبس معطفا مشمعا ، قاصدا المقهى . القطة بلا شك فى موضع ما على اليمين . كان فى استطاعتها ان تتبع الحائط مستترة بحاشية السقف . بينمــا هى تنتظر على العتبة اذ ينفتح من خلفها مظل .

كانت خادم الطابق الثانى تبتسم . وقالت بالايطالية ((عليك الا تبتلى)) طبعا ، صاحب الفندق هو الذى بعثها .

تقدم ت فىممر الحصن ، والخادم رافعة من ورائها المظــل تحميها من المطر الى ان وصلت تحت نافذة غرفتهم . المائدة ثمة ، خضراء لامعة تحت القطر لكن القطة اختفت فاستتشعرت خيبة مفاجئة

نظرت اليها الخادم ((سينيورة ؟ ضاعت لك حاجة ؟))

((قطة كانت هنا)) .

((قطــة !))

((نعم .. قطة .. كاطو))

((قطة ..)) وضحكت الخادم : ((قطة تحت المطر))

((اجل .. تحت المائدة . آه ، لشد ما كانت رغبتى اليها .. اردت هريرة !))

كانت الخادم عندما تنطق بالانجليزية تنقبض ملامحها .

((تعالى سينيورة ، لابد ان نرجع ، والا ابتلت ثيابك .

قالــت الامريكية :

((نعم .. حقا))

قطعت الممر راجعة مع الخادم . عبرت العتبة وبقيت الخادم فى الخارج لتسد المظل .

لما مرت الامريكية امام المكتب ، حياها صاحب الفندق من طاولته . فضاق صدرها واحست بنفسها ضئيلة امام البادرون وفى نفس الوقت خطيرة جدا ، ومدة دقيقة واحدة شعرت انها خطيرة الى ما فوق المادة . ثم طلعت وفتحت باب الغرفة . كان جورج يقرأ ممتدا على السرير .

سالها وهو يضع الكتاب .

« هل وجدت القطة ؟! »

« ذهبت »

رفع بصره من الكتاب وقال :

« واين تكون قد ذهبت يا رب !؟ »

جلست على السرير .

« لشد ما كانت رغبتى اليها ولست ادرى لماذا . كنت ارغب فى هذه الهريرة المسكينة وليس من السعد ان تكون قطعة مسكينة طريدة تحت المطر .

كان جورج قد استانف قراءته .

ذهبت الى مرآة مزينتها وجلست ونظرت الى وجهها فى مرآة اليد . فحصت الجانب الايسر ثم الايمن ثم القفا ثم العنق .

سالت وهى تفحص ثانية جانب وجهها .

« ارايت ان تركت شعرى يطول ، هل يكون اجمل ؟ »

نظر جورج الى قفاها معراة كانها لو كانت لغلام .

« احب شعرك كما هو » .

« وانا قد سئمت ، سئمت منظرى كانى غلام » .

غير جورج مضجعه فى السرير . لم ينقطع عن التحديق فيها منذ ان بدات تتكلم ..

« انت جميلة جدا . انت »

وضعت المرآة على المزينة . ذهبت الى النافذة ونظرت الى الخارج . كان المساء يوشك ان يخيم .

« اريد ان اسرح شعرى الى الوراء ، واحس به مسرحا ، مجمما على عنقى ، اريد هريرة اضعها على ركبتى واسمعها تغنغن اذا ما لمستها بعطف .»

قال جورج من سريره : آة .. حقا !؟»

« واريد ان آكل على مائدة معدة لى خاصة وبالشموع ، واود ان يكون الربيع واريد ان اسرح شعرى امام مرآتى واريد هريرة واريد فساتين جديدة ».

« اف . اخرسى وخذى كتابا .. ثم استأنف جورج قراءته .

كانت زوجته تنظر من النافذة . الظلام قد خيم الان على الميدان والمطر ما يزال يتهاطل على النخيل .

« على اى حال اريد قطة . اريد قطة . اريد قطة فى الحين . ان لم استطع ان اطول شعرى وان اروح على نفسى، فانى على الاقل استطيع ان املك قطة ».

لم ينصت اليها جورج .

كان يقرا فى كتابه وامراته من النافذة تنظر الى الميدان الذى اضيء منذ قليل .

دق الباب . فرفع جورج عينيه وقال بالايطالية :
« تفضل » .

كانت الخادم واقفة على عتبة الباب ، تضم فى ذراعيها قطة كبيرة شهباء كظهر السلحفاة وقالت :

« عفوا . ان صاحب الفندق بعث بهذه للسينيورة .»

ترجمة عبد الله العروى

طــه عبــد الرحمان

نــظراتك أنــت

يقول جان بول سارتر : « ان الجحيم هو الاخرون » ولكن هل هذا الاخر هو دائما وابدا ، ذلك « الانت » ، الكائن المجتمعي الذي تشدني اليه روابط التواجد ؟ او هل هو ، كل ما يعترض وجودي ويحول دون تحققه، او بعبارة اخرى ، كل ضغط اتلقاه من الخارج ، ضغط اي قوة ، طبيعية كانت او « وضعية » ؟ حقا ان الانسان يشعر في قرارة نفسه بصــــراع يستغرق كل « حضوره » بين قوة خارجية تحد من كل حركاته ، وبين قوة داخلية تنبع من صميم ذاته .

ديقول سارتر : « ان الاخر يحطمني » ، ولكن هل هذا التحطيـم هو ابادة نهائية واخيرة ؟ الا تكون محاولة مثل هذه من جانب الاخــــر ، مناسبة لتحولي من « انا منظور » الى « انت ناظر » ، فرصة لانتقالي من دور الوادع المسالم ، الى دور « الثائر المعتدي » ؟

امــا تنحــى بعيــدا عــن لحاظــى
فلست على ((حضورى)) بالرقيــب ؟
ذى النظـــرات تقذفنــى بجمــــر

وتحرقني بعين من لهيب
الا ليست جفاء كلها تر
تضيني ، كالطفولة ، للهروب ؟

...

لكم ارجو رداد الطرف عني
وكم ادنى بعيدا بالقريب !
قذائف عينيك الغرثى تدوى
لجهلك لى ، وجهل للغريب
فانت الآخر ، المزرى لشخصى
بلحظ منك ، تفقدني شبابى
وانت ، الفيسر ، تنفذ فى صميمى
تشلني ، وتسلبني دبيبى
بنظرتك القتول تهزني هز
زة تذكى كياني بالشهاب

...

انا لا امحى ، لا اختفى
كجمر التظى ، كهوى رهيب !
قذفت هنا ، بجنبك قبل ان تذ
ضوى ، قبل الاذى ، قبل العقاب
لما ، ذاك التجنى ، انني لا
اذوب على اللظى او فى شراب ؟
وجودى جامد ، صلد ، قفار

فــلا تسـميــى بــيوم مــن خــرابى
انــا لا ارهــب الــجــوعــى ولا
الــقــوة الظمــاى ولا يوم الحساب !

• • •

فهل لــم تخــتــرق جــوف كــجــوف
الظلام يصــول مــن حــر العــذاب ؟
ازح عنــى عيــونا مــجــرمــة لــم
تــراع شــقــاوة القلــب المصــاب
فانــى لا اطــيــق ســؤال عيــنيــ
ك ، لى ، ابــدا . فــلا تطلب جوابــى

• • •

جنيــت على كــيــانــى دون ان تــر
حــم القلــب المعنــى من تــصــابى

الربــــاط ــــ طه عبد الرحمان

مذكرات أحمق

للكاتب الصينى لوســـان

تعريب : عبد الغنى بـــرادة

مــقــدمـــــة :

يعد الكاتب الصينى الشهير ((لوسان)) من قادة الديمقراطية الثورية ومن طليعة المناضلين الملتزمين الذين عملوا على نشر الدعوة الشيوعية ((فلوسان)) قد استمد عبقريته من صميم معركة التحرر الثورية التى خاضها الى جانـــب الشعـــب الصينـــى ...

وقد اختار الكاتب استعمال الرموز للتعبيـــر عـــن افكـــاره الاجتماعية الثورية وفضح اساليب الاستغلال فى شتى صورها .. فاضفى الاسلوب الرمزى على مذكراته طابعا فنيا رائعا، حافظ على النقد الجذرى الذى وجهه للمجتمع الاقطاعى، ومقتضيات الاطار القصصى ...

ومنكرات احمق هى اول قصة كتبها « لوسان » فى سنة ١٩١٨ فهى اتهام صريح ونقد لاذع للنظام والظلم والاقطاعية التى كانت تسيطر على المجتمع الصينى آنذاك ، وتعد هـــــذه المذكرات بمثابة ناقوس خطر هز كيان المجتمع الصينى بصفة عامة والفئة المثقفة الواعية بصفة خاصة ، فاعلنت بعد ذلك انطلاق ثورتها الثقافية التى كانت فى نفس الوقـــت ثـــورة ايديولوجيـــة.

المترجـــــم

—.—

اخوان لا اريد ذكر اسمهما هنا كانا زميلين حميمين لى فى المعهد ، لكن بعد فراق طويل لم اعد اعثر لهما على اثر تقريبا. وفى الايام الاخيرة علمت ان احدهما قد اصيب بمرض خطير . وعندما كنـــت فى زيارة لقريتى ومسقط راسى عرجت فى طريقى على منزله قصـــد زيارته ، لكن لم التق الا بالاخ الكبير الذى اخبرنى بأن أخاه الصغير هو الذى كان مريضا. واضاف قائلا : « اننى اشكركم على هذه الزيارة التى قمتم بها غير انه شفى من مرضه منذ امد وانتقل الى اقليم آخر حيث ينتظر تعيينه فى وظيف رسمى » وأخرج دفترين يضمان مذكرات اخيه وعرضهما على مبتسما وقال : « هذه المذكرات تشخص مرض اخى فبواسطتها ستقف على مظاهر الاعراض المرضية التى اصيـــب بها وهو لا يرى مانعا فى اعارتها لصديق . »

اخذت معى هذه المذكرات وبعدقرائتها تيقنت بأن صديقى كان مصابا بالحمق ، والاضطهاد . . .

فهذا المخطوط الغير المتلاحم الاجزاء الغامض يضم قصصا غريبة من نوعها ولا تحمل تاريخا معينا . ولم اتاكد من انه حرر فى مراحل متقطعة الا بواسطة الوان الحبر المغايرة وتباين خطوطه.

فنقلت جزء من فقراته التى كانت تظهر متلاحمة نسبيا ، علـــى اساس انها تساعد على ابحاث طبية.

لم اغير كلمة من هذه المذكرات باستثناء اسماء الاشخاص على الرغم من ان الافراد المعنيين بالامر كلهم من سكان الباديـــــة ومجهولين تماما فى هذا العالم. اما فيما يخص العنوان فقد احتفظت بنفس العنوان الذى اطلقه صاحب المذكرات بعد شفائه دون ان احاول ادخال اى تغيير . فى ٢ ابريل ١٩١٨

لوســـــان

١

يضىء الكون هذا المساء قمر جميل جدا . لقد مرت اكثر من ثلاثين سنة لم ار خلالها قمرا . لهذا اشعر بسعادة خارقة للعادة . الان فقط فهمت بأننى قضيت هذه الثلاثين سنة الاخيرة داخل السحب. لذا يجب ان الازم جانب الحذر واليقظة ، والا فلماذا نظر الى كلـــب عائلة « تشاهو » مرتين ؟ يحق لى ان اتخوف.

٢

الليلة غير مقمرة وهذا ينبؤنى بان الامور لا تسير على مــا يرام. عندما غامرت وخرجت هذا الصباح بعد ما اخذت الحذر اللازم رمانى «تشاهوكوى» بنظرة غريبة من نوعها حتى خيل لى كانه خاف منى

له رغبة بان يقتلنى . وعثرت ايضا على سبعة او ثمانية اشخاص رؤوسهم متقاربة يتكلمون عنى بصوت منخفض وباحتياط لانهم يخافون ان اتمكن من رؤيتهم وبصفة عامة فكل الذين التقيت بهم

هذا اليو مكانوا مثلى هؤلاء غير ان اوحشهم انفجر ضاحكا حتى برز ت‌اسنانه وركز نظره فى حتى أقشعر جسمى من قمة راسى الى اخمص قدمى ، وفى تلك الاونة فقط علمت بأن دسائسهم ومكائدهم قد نجحت باتقان .

ومع ذلك استأنفت طريقى دون فزع . غير اننى وجدت امامى جماعة من الاطفال يتكلمون ايضا عنى ، ونظراتهم اللامعة كانت شبيهة بنظرات « تشاهو » وعلت وجوههم صفرة الفولاذ ، وسألت نفسى عن نوع وسبب الحقد الذى يمكن للاطفال ان يكنوه لى حتى يتصرفوا مثل هذه التصرفات . وفقدت كل شعورى وصحت فيهم : «قولوا لى ما سر هذا الحقد ؟» لكنهم هربوا. وفكرت طويلا فى الاسباب التى دفعت « تشاهو » ورجال الشارع الى كراهتى ؟ منذ عشرين سنة مضت ، دست بقدمى عن غير قصد كتاب قصص قديم للسيد « كوكيو » وقد اغضبه ذلك كثيرا ، وعلى الرغم من ان « تشاهو » لا يعرف السيد «كو» غالبا انه سمع بهذه القضية ويريد ان ينتقم له ولهذا السبب اتفق مع رجال الشارع ضدى . لكن لماذا حتى الأطفال ؟

فى الوقت الذى وقعت هذه الحادثة لم يكونوا قد يولدوا بعد اذن فلماذا نظروا الى بتلك النظرة الغريبة التى تنم عن الخوف اوالرغبة فى القتل ؟ كل هذا يخيفنى، يدهشنى ويقلق نفسى ويجعلها غارقة فى امواج من الانفعالات الداخلية .

— ٣ —

لم استطع النوم هذه الليلة ان فهم شيء يتطلب تفكيرا . هؤلاء الرجا لقد سبق للقاضي ان اصدر في حقهم احكاما قاسية ، واجلس بعضهم على الطاولة المثقبة واهينوا ولطموا من طرف حاكم الناحية ، واخذ منهم نساءهم بمحضرهم ، او سبق لهم ان شاهدوا اباهم او امهم تنتحر لتهرب من وجه الغرماء ومع كل ذلك فلم يظهر على وجوههم غضب مخيف وعنيف بنفس الشكل الذى قوبلت به امس .

واغرب من كل ذلك تلك المراة التى كانت تضرب ابنها فى الشارع وهى تصيح فيه : .. ايها الولد الوسخ ! ساكل منك عدة لقم حتى اهدىء من روعة غضبى !.. وكانت تنظر الى حينما كانت تخاطب ابنها . فاهتززت فى مكانى وكنت عاجزا عن اخفاء مشاعرى ، فانفجرت الجماعة ذات الوجه الازرق الضارب الى السواد والاسنان الحادة ضاحكة . فجاء الشيخ «نشان» بخطى سريعة واخذنى معه بقسوة الى البيت .

استقبلنى فى البيت اعضاء الاسرة بفتور . وظهر على محياهم استغراب كأنهم لم يسبق لهم ان عرفونى من قبل ، وكانت نظراتهم شبيهة بنظرات رجال الشارع . دخلت الى الخزانة فاغلق خلفى الباب فى الحين تماما كما نفعل للدجاجة او البطة عندما نريد ان نحتفظ بها فى سلة ضيقة الحجم على الرغم منها .

هذا حادث غامض لا اعرف ما اصاب هؤلاء الناس ؟

فى الايام الاخيرة زار اخى الكبير احد فلاحيه المساعدين « بقرية الذئاب » ليخبره بحالة الجفاف التى اصابت الحقول واطلعه

اثناء حديثه بان سكان القرية قد قتلوا مواطنا شريرا مشهورا فى القرية فانتزع بعد ذلك سكان القرية منه القلب والكبد وقلوهما واكلوهما ليستمدوا منهما الشجاعة، فاقفتهما دون ان اشعر بكلمة فرمانى كل منهما بعدة نظرات غريبة فتيقنت اذ ذاك بان نظراتهم جد شبيهة بنظرات رجال الشارع . بل مجرد اعادة التفكير فى هذه النظرات تجعلنى اقشعر من قمة راسى الى اخمص قدمى .

انهم يأكلون الرجال ولم لا يأكلونني ؟

— ٤ —

اذا استعرضت هذه الظواهر : المراة التى ارادت ان تأكل لقما من ابنها وضحكات الجماعة المرتفعة ذات الوجوه الصفراء والاسنان الحادة وحكاية الفلاح ، كل هذه ادلة قاطعة . كلامهم مسموم وضحكهم شاطر كأسيف واسنانهم مصطكة ساطعة بالبياض . نعم انهم اكلة الانسان لا اعتقد باننى رجل شرير . ولكن من اليوم الذى دس فيه كتاب القصص لعائلة «كو» لم اعد متاكدا من اى شىء . يقال بان لهذه العائلة سرا لا استطيع ان اتصوره — وفعلا فقد يكفى بان يروجوا دعاية سيئة ضد فرد من الافراد ليصبح الكل ضدى .

ما زلت اذكر عندما كان اخى يعلمنى كيف احرر المواضيع الانشائية اننى بمجرد ما ادلى له ببعض الحجج ضد الرجل الذى ينبغى ان اتكلم عليه مهما بلغت سيرته حتى احصل على ميزة «حسن» وحينما كنت احاول ايجاد بعض الاعذار لتصرفات بعض الشريرين ، كان اخى يقول لى : « انك تمتاز ببراعة فطرية فى الدفاع »

كيف استطيع ان اعرف ما يدور بخلد هؤلاء خاصة فى الوقت الذى يفكرون فى افتراسى ؟ ان فهم اى شىء يتطلب تفكيرا . اعتقد ان

فى العصور القديمة كان الانسان كثيرا ما ياكل الانسان ، لكننى لم اعد متاكدا من هذه النقطة ، فاخذت كتاب تاريخ لادرس واتحقق من هذه النقطة بالذات ، لكن هذا الكتاب لا يحمل اى تاريخ وكتب على كل صفحاته من مختلف الجهات هذه الكلمات : « الانسانية » « العدالة » «الفضيلة» .

وبما ان النوم فارق جفنى مهما حاولت فاننى تابعت قراءة الكتاب باهتمام ، وحوالى منتصف الليل اكتشفت شيئا مكتوبا بين السطور : كلمتان تملآن الكتاب كله «افترسوا الانسان» قلت: «عبارات الكتاب ، قصة الفلاح ، كلما كشف الان امامى يبتسم ببرودة وتوجه الى من حين لاخر نظرات غريبة .

انا ايضا انسان انهم يريدون افتراسى !

انفقت هذا الصباح وقتا طويلا جالسا فى هدوء ، حمل لى الشيخ تشان غذائى : صحن ملىء بالخضر وآخر بالسمك المبخر . وكانت عيون السمك صلبة بيضاء ، وافواههم فير المغلقة شبيهة بتلك العصابة اكلة الانسان . وبعدما تناولت بعض اللقم من هذا اللخم اللزج لم اعد متيقنا هل اننى آكل لحم السمك او اللحم البشرى الى درجة اننى شعرت بالغثيان وتقيأت الكل دفعة واحدة .

قلت سيدى تشان : قل لاخى باننى اختنق هنا، وباننى اريد ان اتجول فى الحديقة ، فاختفى الشيخ تشان دون ان يجيب ، لكن رجع بعد وقت قصير ليفتح الى الباب فلم اتحرك من مكانى متسائلا عما عساهم يفعلون لاننى كنت متيقنا بانهم سوف لا يطلقون سراحى . وفعلا فقد وصل اخى مصحوبا بشيخ متقدم فى السن يسيران بخطوات بطيئة . كانت نظرات الشيخ مخيفة غير انه كان يحنى راسه نحو الارض حتى لا اراه وكان لا ينظر الى الا من زاوية نظارته قال لى اخى :

ان حالتك قد تحسنت بكثير اليوم .

فــاجبتــه بنعم .

لقد طلبت اليوم من السيد «هو» ان يفحصك جيدا .

ــ تفضلوا ، افعلوا ..

لكنني كنت اعلم مقدما بان هذا الشيخ لم يكن الا جــــلادا متسترا ! يريد ان يجس نبضي لكنه في الواقع يريد ان يقدر قيمـــة ضخامة جسمي ليحصل في غالب الامر على قطعة من لحمي كثمـــن لفحصه . لم اكن متخوفا على الرغم من انني لا آكل انسانا . بل انني اكثر شجاعة من هؤلاء اكلة اللحوم البشرية . مددت يدي وانتظرت ماذا عسى ان يقع ؟ فجلس الشيخ واغلق عينيه وجس نبضي طويلا في صمت ثم فتح عينيه الشيطانية وقال لي :

ــ يجب الا تسمح لنفسك بأن تنسا قمع خيالك . انـــك في حاجة الى بضعة ايام من الراحة والهدوء ، وستتحسن حالتك .

ــ عدم الانسياق مع الخيال ! الهدوء والراحة !

طبيعي عندما اسمن جيدا سياكلون مني اكثر . لكــن ماذا استفيد من كل هذا ؟ هل بهذه الطريقة ستتحسن حالتي ؟؟ هــؤلاء الوحوش البشرية يريدون اكل الانسان لكنهم يفعلون ذلك بتستــر ليحتفظوا على المظاهر الخارجية . لذلك فانهم لا يستطيــعون ان يتصرفوا بكيفية مباشرة وعارية . ان مثل هذه التصرفات لتستحــق الضحك حتى الموت . وعندما عجزت عن مــقــاومة هذه الرغبة ، انطلقت اضحك . اضحك بصوت مرتفع جدا . لان هذا كان يسليني كثيرا لانني اعلم ان في ضحكي تدوي الشجاعة والعدالة . لقد اصفــر

وجههما واندهشا من شجاعتى . وبما اننى كذلك فسيعجلون بافتراسى ليأخذوا قسطا من شجاعتى .

لقد غادر الطبيب الشيخ غرفتى . وما كاد يبتعد عن عتبتها قليلا حتى قال لاخى بصوت منخفض : « يجب افتراسه فى الحين » . يبـلـع فى الـحـيـن .

فهز اخى راسه بالقبول . فصحت فيه أانت ايضا كذلك ؟!

هذا الاكتشاف الغريب على الرغم من انه لم يكن متوقعا لم يدهشنى كثيرا .

اخى ينتمى الى جماعة اكلة الانسان ؟! الجماعة التى تريد افـتـراسى ؟!

اخـى يـاكـل البـشـر ؟!

انـا متيقن بأننى سافترس من طرف الوحوش البشرية لكن لا اقبل باية حال ان يكون لى اخ من اكلة البشر !

— ٥ —

لقـد تراجعت هذه الايام عن تاملاتى السابقة . لنفـرض ان هذا الشيخ لم يكن جلادا متسترا ، بل انه طبيب حقيقى فهذا لا يغير فى الواقع شيئا اذ انه سيبقى من اكلة البشر ، الم يكتب بالحرف فى كتاب « مزايا العشب لاحد اسلاف «ليشملشنك» بان لحم الانسـان يمكن ان يؤكل مقليا فى الزيت » ؟ اذن كيف يمكنه ان ينكر على انه ليس من اكلـة البشـر ؟

اما فيما يتعلق بأخى فاننى اتوفر ايضا على عناصر لاتهامه. فعندما كان يعلمنى اللغة اليونانية واللاتينية سمعته يقول بحال لسانه :

« كانوا يتبادلون ابناءهم لياكلوهم »

وسمعته مرة اخرى يقول عندما كان الامر يتعلق برجل جد شرير:

« هذا الرجل لا يستحق أن يقتل ، بل يجب ايضا ان يؤكل لحمه ، وتنام على جلده » وكنت حينذاك صغيرا ومع ذلك فعندما سمعت كلامه اخذ قلبي يضر ببعنف مدة من الزمن . واول امس عندما اخبر الفلاح الاتي من قرية الذئاب اخي بان سكان هذه القرية قد اكلوا قلب وكبد رجل لم يظهر اخي آنذاك اى استغراب او اندهاش ، بل اكتفى بهز راسه مؤيدا ذلك . وتبين من ذلك بان عواطفه لم يطرا عليها اى تغيير .

فاذا سلمنا بامكانية استبدال ابنائهم لياكلوهم « اى شيء بعد ذلك يبقى غير قابل للتبديل ؟ ولا يمكن ان يؤكل ؟؟

كنت فيما مضى اكتفى بالاستماع الى شروح اخى دون ان احاول تعميقها . لكننى الان علمت بانه فى الوقت الذى كان يعلمنى فيه، كانت شفتاه تلمعان بالشحم الانسانى ، وبان قلبه كان مليئا باحلام افتراس اللحوم البشرية .

— ٦ —

كل ما حولى اسود قاتم ، ولم اعد قادر على ان اميز ما بين الليل والنهار .

لقد اخذ كلب عائلة «تشاهو» ينبح من جديد ، ان لافراد هذه العائلة وحشية الاسد . وجبن الارنب ، وحيلة الثعلب .

اعرف مساعيهم ودسائسهم الخبيثة المبيتة ، انهم لا يريدون ولا يقدرون على قتلى مباشرة وعلانية خوفا من العواقب التى قد تنتج

لكنهم متفقون على وضع الشراك فى طريقى ليدفعونى الى الانتحار . ان تصرفات الرجال والنساء ازائى فى الشارع ذلك اليوم، ومواقف اخى فى هذه الايام الاخيرة تؤكد بان الامر كاد يكون حقيقة ، انهم يريدون ان افك نطاقى ، واضعه حول عنقى ثم اشده الى خشبة طويلة واتعلق بها .. اذ ذاك فانهم لن ينعتوا بالقتلة ، وسيرون رغبتهم الخفية تتحقق على الوجه الاكمل ، ان هذا العمل سيدخل الفرحة على قلوبهم ويجعلهم يضحكون ويهتزون ... او انهم سيتركوننى اموت خوفا وغما. وبما ان هذه الطريقة تنحل صاحبها فهى نتيجة كيفما كان الحال ترضيهم شيئا . انهم لا ياكلون الا اللحم الميتة ! قرات فى مكان ما انه يوجد وحش نظراته مخيفة ومظهر بشع يدعى « الضبع » ياكل لحم الميتة ويمكنه ان يمضغ العظام الكبيرة ويبلعها بعدما يمضغها مضغا دقيقا ، ان مجرد التفكير فى هذا الوحش يرعب الجسم كله . لا بد ان لهذا الضبع قرابة مع الذئب والذئب من عائلة الكلاب . وهذا ما جعل كلب عائلة « تشاهو » يركز نظراته على عدة مرات اول امس ، لا شك انهم اشركوه معهم فى المؤامرة ــ لقد احسن صنعا هذا الشيخ حينما سمر نظره على الارض اننى على كل حال لم انخدع ، ان الذى ينبغى ان يكون موضع شفقة هو أخى .

هو ايضا انسان ، الا يخاف على نفسه ؟! لماذا ينضم الى اولئك الذين يريدون افتراسى الانه تعود، لم يعد يرى مانعا فى ذلك ؟ اليس له ضمير ام انه يتعمد فعل ذلك من علم ؟ اذا كان كذلك فسيكون اول من سانعته من بين اكلة الانسان ، وسيكون ايضا اول الوحوش التى ساحاول علاجها من هذا الوبال .

الواقع انه كان من اللازم عليهم ان يفعلوا ذلك منذ امد بعيد !".

وفجاة ، دخل على رجل يتراوح عمره ما بين العشرين ضاحك المحيا لدرجة انه صعب علي ان اميز قسمات وجهه ، وحياني براسه، فلاحظت ان ابتسامته كانت متكلفة زائفة فسالته :

— هل من الحق ان يؤكل الانسان ؟

— فاجاب والابتسامة لا تفارق محياه :

— لا داعي لاكل الانسان ما لم تكن هناك مجاعة .

ففهمت حينا انه ينتمي الى اولئك الذين يحبون اللحم البشري .

فزادت هذه النتيجة في شجاعتي عشرة اضعاف والححت عمدا :

— هل هذا عدل ؟

— لماذا تضع مثل هذه الاسئلة !؟ صحيح .. انت تحب المزاح . الجو جميل جدا اليوم .

— ان الجو جميل جدا والقمر مضيء ساطع ، لكن اسالك : هل هذا عدل ؟

فرماني بنظرة ناقمة واجاب بصوت غير واضح :

— لا ...

— لا ؟ اذن لماذا ياكلونه ؟

— لكن ماذا تريد ان تقول ؟

— اسمع اليسوا ياكلون الذئاب في القرية ؟ ان ذلك مكتوب ايضا في الكتب ، وهو امر واضح وضوح ضوء النهار .

فتغير لون وجهه واصفر كوجه الميت ، واجاب وعيناه تكاد تخرج من مكانهما :

ــ من الممكن ان تكون على صواب ، هذه الظاهرة كانت دائما مــوجــودة .

ــ هــل هذه ظــاهرة عادلة ؟

ــ لا اريد ان اناقشك فى هذا الموضوع . يتحتم عليك ان تتجنب الكلام فيه ، انت على خطأ اذ تتكلم فى هذا فقفزت وعينــاى جد مفتوحتين ، لكن الرجل انسحب ، ووجدتنى مبللا بالعرق ان هذا الرجل اصغر من اخى بكثير ، ورغم ذلك فهو ينتمى الى حزب هؤلاء ! انا متيقن بان ذلك راجع الى تربية آبائهم وربما قد لقن ذلك لابنه ــ ولاجل ذلك ينظر الى الاطفال الصغار بكراهية .

ــ ٩ ــ

يريدون افتراس الاخرين ويخافون ان يفترسوا بدورهم ، فهم يتدارسون فيما بينهم ويتبادلون نظرات مليئة بالشك والهيبة .

اذا تركوا هذه الفكرة جانبا ، فهم سيشمرون باستــعداد اكثر للعمل والتجول والاكل والنوم ولتخطى هذا الحاجز لا ينبغى اكثر من القيام بخطوة واحدة . ولكن الاب مع ابــنه والاخ مــع اخيــه . والزوج مع زوجته والصديق مع صديقه ، والعدو مع عدوه كلهــم يتبادلون النصح ويتواصون فيما بينهم حتى لا يقدم اى واحد منهــم على هذه الخطوة مهما كلف ذلك من ثمن .

ــ ١٠ ــ

ذهبت منذ الصباح الباكر ابحث عن اخى ، فوجدته واقفــا امام باب غرفة الاستقبال ، ينظر الى السماء فجئته من خلف ووقفت

فى فرجة الباب ، وقلت له بكامل الهدوء والاحترام :

ــ اخى اريد ان اقول لك شيئا

فــدار بسرعة وهز راسه بالقبول

ــ تكلــم .

ــ لا اريد ان اقول لك الا بعض الكلمات ، لكنى لا اعــرف كيف اعبر لـك عنها .

ــ اخى ! من الممكن ان الوحوش فى العصور البدائية كانــت كلها او جلها مفترسة ، لكن عندما تطور شعورهم فقد كفوا مـــن افتراس الاخرين ، راغبين من وراء ذلك ان يصبحوا احسن مما كانوا عليه ، اى اقرب الى الانسانية الحقيقية ، فى حين انه ما زال يوجد من يفترس الانسان ... ان هؤلاء يشبهون الحشرات التى تطورت وقطعت مراحل ، فتحولت الى اسماك وطيور وقردة وفى آخر المطاف الى انسان لكن بعض الحشرات رفضت هذا التحسن التدريجى ، وظلت الى يومنا هذا تعيش فى دائرة الحشرات ما اوقع آكــل اللحوم البشرية عندما يقارن نفسه بالانسان الذى لا ياكل اخاه ! وسيكون خجله اكبر من خجل الحشرة بالنسبة للقرد .

«بيا» سلفت ابنها لياكل من طرف «كيتسو» ويرجــع هــذا الحدث الى التاريخ القديم ومن كان يقول انه منذ افتراق السماء عــن الارض من طرف (بانكو) سيصبح الانسان يفترس بعضه بعضــا . واذا حاولنا ان نستعرض حادثة افتراس ابن (يايا وسيوسليــن) ونقارنها بالرجل الذى القى عليه القبض فى قرية الذئاب ، انفهم مــن ذلك ان الانسان كان ياكل الانسان ؟؟ ففى السنة الماضية عندمــا كان ينفذ الاعدام فى بعض مجرمى المدينة ، كان بعض المتسوليــن يتصارعون ليغطسوا الخبز فى دمهم ثم ياكلونه .

اخى ! انهم يريدون اكلى وبالطبع فانت وحدك لا تستطيع ان تفعل شيئا ضدهم . ولا تستطيع مقاومتهم جميعا ، لكن لماذا تنضم اليهم ، انهم مفترسون قادرون على كل شىء .. فاذا كانوا قادرين على افتراسى سيكونون قادرين كذلك على افتراسك . فحتى اعضاء المعسكر الواحد يفترسون فيما بينهم لكن اخى عليك ان تقوم بخطوة واحدة تتخلى عن هذه العادة وسيصبح العالم كله فى سلام ، وعلى الرغم من استمرار هذه الاشياء يمكننا ان نتحاب فيما بيننا منذ اليوم . سيقول البعض : هذا غير ممكن وانا اظن انك ستقول بان هذا ممكن، رغم انك اجبت مزارعنا اول امس عندما طلب منك تخفيضا من ثمن كرائه بان هذا مستحيل ...

كان اخى اول الامر يبتسم ببرودة ، لكن بسرعان ما لمع بريق غضب فى عينيه وبينما كنت اركز نظرى فيه لازيل القناع عن الافكار التى تدور فى خلده ، اخذ لون وجهه يضرب الى السواد ، وخارج الباب المشرفة على الزقاق كان هناك تجمع كبير ، وكان من بين المحتشدين «تشمهوكوينك» وكلبه ، وكانوا كلهم يتزاحمون ويمدون اعناقهم ليتمكنوا من رؤية احسن لم يكن بامكانى ان اتعرف على وجوه البعض لانهم كانوا مقنعين ، اما الاخرون فقد احتفظوا بوجوههم الضاربة الى السواد واسنانهم الحادة ، وبشفاههم الدقيقة التى تبتسم فى تكلف .

وحينذاك فهمت بانهم ينتمون كلهم الى معسكر واحد ، معسكر اكلة الانسان . غير اننى كنت اعرف ايضا بان مفاهيمهم وآراءهم كانت متضاربة فمنهم من يعتقد بان الانسان يجب ان يفترس لان هذه الظاهرة كانت موجودة منذ القدم . فى حين ان البعض الاخر

كان يرى انه لا يجب على الانسان ان يفترس اخاه الانسان مع ذلك لا يتردد فى افتراسه لكن بكامل التحفظ خوفا من ان تفضح جرائمهم .

وعندما سمعونى اشتد غضبهم فاكتفوا برسم ابتسامة وقحة على محياهم تلميظ شفاههم الدقيقة ، فى هذا الوقت اشتد غضب اخى وصاح فيهم باعلى صوته : اخرجوا جميعا لماذا تنظرون هكذا الى احمق ؟

وفهمت حالا حيلتهم الجديدة ، انهم يريدون قتلى ، لكنهم هيأوا كل شيء مسبقا ونعتونى بأحمق ، وهكذا فانهم لا يجدون مضايقة عندما ياكلوننى بل بالعكس ساكون ممنونا لهم بذلك ، تماما نفس الطريقة التى استعملوها لافتراس « الرجل الشرير » انهم يرجعون الى نفس الغلطة بالذات ويرددون دائما نفس النغمة .

ها هو الشيخ «تشهو» قد وصل اخيرا وهو فى الغضب الشديد ... لكن من يستطيع ان يغلق فمى ؟ اريد ان اتكلم الى هؤلاء الرجال باى حال من الاحوال :

غيروا احوالكم ! غيروا ما بنفسكم ! تغيروا من اعماق قلوبكم ! واعلموا انه لن يسمح فى المستقبل لآكل الانسان ان يعيش على هذه الارض ! واذا لم تتغيروا مستؤكلون بدوركم ..

ومهما بلغ عدد اولادكم فسيقطع دابرهم من طرف الرجال الحقيقيين . تماما كما تقتل الذئاب من طرف الصيادين او كما تقتل الحشرات .

لقد اخذ الشيخ « تشاهو » يطرد المحتشدين ثم جاء ليطلب منى ان اعود الى غرفتى . اما اخى فلا ادرى اين اختفى !؟

كان داخل غرفتي حالك السواد لكن سرعان ما اخذت روافد السقف تهتز اهتزازا عنيفا فوق راسي وبعد ذلك تجيء لتتجمع وتتكدس فوق جسمي . كانت ثقيلة للغاية ، وكنت عاجزا عن الاتيان باية حركة انهم يريدون قتلي ، لكنني كنت اعلم بأن هذا القتل كان وهميا فقاومت وانتفضت وتحررت فكان جسدي يفور عرقا ومع ذلك كنت اردد متعمدا :

غيروا احوالكم حالا ! غيروا ما بنفسكم واعلموا اننا لن نسمح في المستقبل لاكلي اللحوم البشرية ان يعيشوا معنا ...

— ١١ —

لم تعد الشمس تبدو ، والباب لا تفتح الا مرتين في اليوم عندما يحملون الي وجبات الغذاء .

وبينما اخذت قضيبي لاكل عدت افكر في اخي لانني اعرف بانه سبب موت اختي الصغيرة ، كان عمرها يبلغ خمس سنوات وكانت ظريفة للغاية . وكنا نتعاطف فيما بيننا . ما زالت امي تتراءى لي وهي تنتحب بدون توقف ، واخي يواسيها . فاذا لم يكن هو الذى اكلها فلم يشعر بهذا الاحساس المخجل ؟

ان اختنا افترست من طرف اخي . ولست ادري اذا كانت امي قد شعرت بذلك ، اظن ان امي على علم بكل هذا ، واذ لم تبح بشيء خلال انسكاب دموعها فغالبا لانها وجدت ذلك جد طبيعي .

ما زلت اذكر ذات يوم عندما كنت اتبرد امام باب غرفة الاستقبال —وكان عمري اذ ذاك ما بين اربع وخمس سنوات — فقال لي اخي : يجب على الابن ان يكون مستعدا لياخذ قطعة من لحمه

ثم يطهيها ويقدمها لابنائه ، عندما يصاب هؤلاء بمرض ، وهكذا يجب ان يتصرف الرجل المخلص . لكن امى لم تستنكر ما جاء به اخى .

فاذا امكن للمرء ان ياكل قطعة من اللحم البشرى يمكنه فى المستقبل ان ياكل انسانا باكمله . مع اننى فى الوقت الـــذى كنـــت اتذكر فيه شهيقا ، كان قلبى يتعصر الما . ما اغرب هذا الامر ..

— ١٢ —

لم يعد بامكانى ان افكر فى ذلك من جديد .

ادركت اليوم فقط باننى عشت خلال سنين فى وسط شعب كان منذ اربعة آلاف سنة يفترس بعضه بعضا . ان اختنا الصغيرة قتلت بالضبط عندما تحمل اخى اعباء الاسرة ، قد خلط شيئا مـــن لحمها بموادنا الغذائية ليطعمنا اياها دون ان نعلم بذلك ؟

هل اكلت من لحم اختى دون ارادتى ؟

والان اتى دورى ...

اننى انتمى الى عهد عرف بافتراس اللحوم البشرية منـــذ اربعة آلاف سنة .

لم اكن اشعر بذلك فى البداية لكننى الان اعرف كل شىء . كيف يمكننى ان آمل لقاء انسان حقيقى ؟!

— ١٣ —

ربما كان هناك اطفال لم ياكلوا لحم الانسان ؟ انقذوا الاطفال

الربـــاط : عبد الغنى برادة

يوسف مدور

فاشل

(قصة)

فاشل ... فاشل ... هذه الكلمة كانت دائما تضج فى راسه : فشل ثلاث مرات فى الحصول على الشهادة الثانوية ، وفشل مرتين فى الحصول على ليسانس الاداب ، وفشل اربع مرات فى الحصول على وظيفة ، ولما توصل اليها اخيرا ، وبعد ان اجتاز كل مراحل الفشل ، اراد ان يستريح ولا يقوم باية محاولة للحصول على شىء جديد ، لانه يعلم ان الفشل سوف يكون حليفه ... انه من طينة غير طينة البشر ، اذا اشترى حذاء جديد ، عند وصوله الى البيت يجد انه قد ضاق على قدمه ، واذا ذهب الى السينما استقبلته لافتة كتب عليها (لم يبق محلات) ...

شىء واحد لم يفشل فيه ، هو الحب ، لانه لم يجسر حتى على التفكير فيه ، واذا تجاسر ونظر الى انثى فانه يلقى عليها نظرة خاطفة ،

بطرف عينيه، ومن بعيد .. وكان فشله هذا هو الدافع الرئيسى الذى جعله من انصار العزلة والانطواء على النفس ، مما دفعه الى الاكثار من المطالعة وقراءة كل ما يصل الى يده من كتب ومجلات علميـــة وسياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها ... كان يقرا بفهم ودون ملل ، ومرت الايام فقرر ان يبحث عن هواية جديدة فتساءل :

لماذا لا اكتب ؟؟؟

وقارن القول بالعمل ، فاخذ القلم وبدا يسكب افكاره عـــلى الورق ... ولشدة خوفه من الفشل ، وقع المقال باسم مستعـــار واستاجر صندوق بريد ، وارسل المقال الى الجريدة وكتب عـــلى الغلاف :

ــ المرسل : أحسان مرجان ــ ص.ب. رقم ٨٩٨٩ ــ دمشق

وبعد ثلاثة ايام ، دهش اذ راى المقال الذى ارسله ، يحتل مكانا بارزا فى الصفحة الاولى من الجريدة .

كان قد مر على هذا الحادث اسبوعان عندما كان مارا بالقرب من ادارة البريد ، فقال لنفسه :

ــ لنفتح الصندوق ...

وعندما فعل ، وجد فيه رسالة من رئيس التحرير يهنئه بها على قوة مقاله ، ويطلب منه ان يزوده بمقالات اخرى ...

لم يصدق من شدة فرحه ما جاء فى الرسالة ، وظن ان عينيه تخدعانه، فاعاد قراءتها اكثر من مرة . ومنذ ذلك اليوم بدات مقالاتـــه تظهر فى الصحف ومجلات دمشق وبيروت فى حقول بارزة ... فشـعر بنشوة النصر لانه استطاع ان يتغلب على الفشل وعزا سبب انتصاره الى اسمه المستعار وصار يتفاءل به ... وعندما حان وقت اجازته

السنوية ، قرر ان يقضيها فى مكان بعيد ، فى مكان يجهل عنه انه فاشل ... فى مكان يغرق بجمال الطبيعة ، فقفز الى ذهنه اسم بلدة (عبيه) التى طالما سمع عنها من زميله فى الجامعة (فريد القنطار) حيث كان لا يترك مناسبة تمر دون ان يصف محاسن بلدته ... التى رغم انها لا تبعد عن (عاليه) سوى ثمانية عشرة كيلومترا ، لم تحظ بجزء من الشهرة التى (لعاليه) فابتسم وقال لنفسه :

ــ سأذهب الى (عبيه) قد تكون فاشلة مثلى ، رغم كل ما حبتها به الطبيعة من جمال ...

بعد ان سجل اسمه فى سجل الفندق الصغير تحت اسم احسان مرجان صعد الى غرفته ، فغسل وجهه وغير ثيابه وذهب الى (التيراس) وجلس هناك يتأمل جمال الطبيعة ويستنشق عبير الصنوبر الذى تحمله اليه النسيمات القادمة من الاحراش المنتشرة فى جميع انحاء تلك المنطقة ، وقرب الافق ، كانت السفن والزوارق تخط سطورا بيضا على زرقة البحر ...

مضى اسبوع وهو على هذه الحالة يقضى معظم اوقاته على (التيراس) فى نفس الزاوية التى انتقاها فى اليوم الاول لقدومه . وكان نزلاء الفندق القلائل قد لاحظوا حبه لتلك الزاوية فلم يستولى عليها احد فى غيابه ، وتبقى الطاولة والمقاعد دائما فارغة حتى عودته ، حيث كان يجلس على مقعد ويضع سترته على مقعد ثان وكتبه ومجلاته على مقعد ثالث ... وفى اليوم الثامن عند عودته من جولته فى الاحراش اتجه كالعادة الى زاويته المفضلة ، واذ به يفاجأ بصبية من نزلاء الفندق كان قد لمحها يوم وصوله تجلس مكانه فارتبك ، واتجه فورا الى الطاولة المجاورة ، فابتسمت الصبية وقالت :

ــ لقد استوليت على زاويتك لعدة اسباب ، فهل تسمح لى بالبقاء وتجلس معى لاطلعك عليها ؟

احمر وجهه ولم يدر ماذا يفعل ، لكنه تشجع عندما راى ابتسامتها الساحرة وبريق عينيها السوداوين يناديانه ... وما كاد يجلس حتى قالت :

ــ اهلا وسهلا بالاستاذ احسان ، لقد ترددت كثيرا قبل ان اجرؤ على تنفيذ هذه الخطة للتعرف اليك ، لانى من المعجبات بكتابتك

فازداد احمرار وجهه ، ولم يستطع ان يتفوه حتى بكلمة : (شكرا) ...

عادت الصبية تبتسم بدهاء واضافت :

ــ انت الاستاذ احسان ، الكاتب الكبير صاحب القلم السيال لا تجد كلمة ترد بها على فتاة تمتدح قلمك ؟؟

فاجابها بخجل بعد ان جلس على احد المقاعد بحذر شديد وكانه يخشى السقوط :

ــ فى الواقع يا آنسة ، فوجئت بك وبحديثك ، وحتى الان لم اتوصل بعد الى تحديد الموقف الذى يجب ان اتخذه منك ...

وكاد يقول : هذه اول مرة اسمع انسانا يمتدحنى وبصورة خاصة ، ان هذا الانسان هو فتاة جميلة ...

وكان الفتاة قرات بعض ما يجول فى خاطره ، فقالت محاولة ارغامه على امتداح جمالها كى تسترد ثمن مديحها له :

ــ ابدا ، ابدا ، اذا كان هناك شىء قد اثر على ، فهو جمالك وسحر عينيك ...

ثم توقف عن الكلام وكأن افعى لسعته فى لسانه ، اذ انه شعر بفداحة الجريمة التى ارتكبها ، اذ ما حقه فى ان يتمادى فى الحديث مع فتاة غريبة قد تنتمى ــ حتما ــ لعائلة محافظة ... كيف يجرؤ على مغازلتها ؟؟ انها جريمة لا تغتفر بحقها وبحق عائلتها ..

لكنه استعاد روعه عندما امسكت بيده وشدت عليها وقالت :

ــ هل حقا تجدنى جميلة ؟ فقال ، وقد تشجع قليلا :

لن اكتشف المريخ اذا وجدتك جميلة . لان كل من يراك لا يستطيع الا ان يعترف بجمالك ...

عند سماعها هذا الكلام ، عادت وضغطت على يده ونهضت وهى تقول :

ــ يجب ان اذهب الان ... ساراك غدا ...

....

تمتنت اواصر الصداقة بينهما واصبحا يخرجان الى النزهة معا كل يوم ، ويعودان لتناول طعام العشاء على (التيراس) ...

وعندما قاربت اجازته من الانتهاء شعر بكآبة لم يشعر بمثلها فى احلك سنى حياته ، وبينما هو جالس فى زاويته المفضلة وراسه بين يديه ، اقتربت منه ووضعت يدها برفق على كتفه وقالت :

ــ ماذا جرى ؟

فاجابها دون ان يرفع راسه :

ــ لقد انتهت اجازتى ويجب ان اعود غدا ..

فقالت بمرح دون ان تنتبه :

ــ وستعود الى الكتابة من جديد ؟ يا الهى كم هذا جميل .. حتما ان هذه الاجازة قد ملات جعبتك بمواضيع كثيرة سوف يتلقفها القراء بكثير من الشوق ...

فرفــع راسه ببطء، وحدق في عينيها وقال :
ــ وهل تهمك كتابتي لهذه الدرجة ؟
ــ قلت لك من اول يوم ، انى من المعجبات بكل ما تكتب ، لدرجة لا يمكنك ان تتصورها ...
وبعد برهة ، قال لها :
ــ اعتقد انى قبل ان ارحل استطيع أن اسالك عن اسمك؟
تريثت لحظة قبل ان تجيب ، وكأنها تبحـث عن الجواب المناسب وقالت :
ــ انت لم تسالنى ، وانا تعمدت اخفاءه ، لكن الان اصبح من الضرورى ان اطلعك عليه ، كما ارجوك ان تقبل منى هـــذه الصورة على سبيل الذكرى ...
فامسك الصورة بيده وراح يتأمل نظراتها الساحرة وشعرها المموج ، وذهب به الخيال بعيدا .
وبينما هو على هذه الحال ، قالت:
ــ لكن لى رجاء واحد منك ؟.
رفع راسه عن الصورة وابتلع ريقه وقال :
ــ اطلبى ما تشائين ...
فقالت وهى تنتقى الكلمات :
ــ ان الاسم المستعار الذى توقع به المقالات ، هو فى الواقع اسمى ، ولا ادرى ما الذى دفعك الى انتقاء هذا الاسم بالذات دون ملايين الاسماء الاخرى ، وكل بيروت تعتقد انى انا الكاتبة ... وقد حاولت ان انكر ذلك فى بادىء الامر ، الا انى بعد ان رايت اصـــرار الناس على الصاق المقالات بى ... وتجمع المعجبين حولى ، لــم

استطع الا الاذعان للواقع والادعاء بأنى الكاتبة .. وطالما [illegible] فى الظلام ، والاحتفاظ وراء اسم مستعار هو فى الواقع اسمى ، أرجو ان تنشر صورتى هذه مع كل مقال تكتبه بعد اليوم ...

وعندما انتهت من حديثها ابتسم ابتسامة حزينة وسقطت الصورة من يده .

دمشق — يوسف مدور

حســـن محمــد الطريـــق

تـــائـــه

تـــرك النور مشرقا ، ومضى يبحث عـــن فجره وراء سرابـــه
شـــع فى ناظريه شوقه واشتد به الوجد ، فانبرى غير آبـــه
ظل يمشى والريح تعول مـــن حوله ، والخوف والاسى فى ركابه
يقطـــع البحر وحده لا رفيق معه غيـــر كالح مـــن ضبابـــه
وينادى ، ويرتمى ، ويموت العزم فى قلبـــه وفى اعصابـــه
وينادى ، وما هناك على الشاطىء نـــور يزيـــل بعض اضطرابه
ويـــرد الصـــدى عليه نداءاتـــــه فى كـــل قفـــره ويبابـــه
ايـــن يمشى وكل مـــا حوله ليـــل بهيـــم يلـــف كل رغابـــه ؟
وظلام القبـــور حوله يشتـــد ، ويذكى السكوت نـــار عذابـــه ؟
ويريد الاياب ؟ لكـــن اعصـــارا رهيبـــا يحـــول دون ايابـــه
وتموت الاحـــلام فى قلبـــه الداوى ، ويجلو الفناء فى اهدابـــه

يعكس الموج امنياتـــه فى المـــاء ، واطيـــاف غابر مـــن شبابه
ويثور البحر الخضم فيطوى كل هذى الاطيـــاف تحت عبابـــه
سرح الطرف فى مياهه وارتدى مـــن الهـــول ليـــس يبصر ما به
وتهاوت مـــن قبضتيه المجاديـــف ، وزاد التصخاب فى ارهابـــه
وغـــدا مـــثل مركـــب المـــوج فى جوفـــه عـــلـــى ركـــابـــه
ايقنت نفسه من الموت يدنو ، وغـــدا لا يدرى سبيل اجتنابـــه
ورمته الامواج فى الشاطىء المهجـــور مغمى عليه . . يا لمصابه !
ظـــل يبكى حتى تراءى له النور ضئيلا ، فســـار فى اعقابـــه
ثم عـــاد الظـــلام حينا وغاب النور عنه ، فانهار عند غيابـــه
وراى النور من جديد ولكن ، بعـــد أن عـــاد فاقدا لصوابـــه
ادرك الحـــق ، ثـــم سار بطىء الخطو يبكـــى ، ودب فى سردابه
وارتضى الليـــل مطمحـــا ، وتخلى عـــن مواثيقه وعـــن احبابه
لم يعـــد يطلـــب الكرامة والنـــور ، ولا شىء مـــن قديـــم رغابه
ظل فى الكهـــف قابعـــا ، والدنى حوله نور يضىء كل شعابـــه
ليتـــه مـــات . . ليتها طويـــت قصـــة ايـــام عمـــره المتشابه !

العرائش : ١٩٦٥/٣/٢٧

ح . م . الطريبـــق

محمد ابراهيم بوعلو

الحوار اللامجدى

تمثيلية قصيرة في فصل واحد

(يدخل عمر الحانة التى تنبعث منها موسـسيــقى هادئة . يتفرس فى الجالسين ، ثم يشير بيده لعائشة التى فى الداخل .. تقترب مـــنـــه).

عمـــر ــ هل يمكن ان نجلس قليلا هنا ..؟

عائشة ــ ولماذا لا نجلس فى الداخل ؟

عمـــر ــ اريد ان احدثك قليلا ..

عائشة ــ وهناك بالذات ..؟

عمـــر ــ انا اريد ان نكون وحدنا .. ولا حاجة بهم الى ان يتدخلوا فى مناقشتنا ..

عائشة ــ اذن ستطول مناقشتنا ..؟

عمــــر ــ ما اعتقد .. تفضلى اجلسى ..

عائشة ــ طيب .. اتركنى اذهب اليهم ثم اعود ..

عمــر ــ وهو كذلك .

(تنصرف عائشة من امامه ، يجلس عمر على المقعد .. بعد قليل النادل ..)

النادل ــ ماذا يريد سيدى ..؟

عمــــر ــ انتظر قليلا من فضلك ..

(تقدم عائشة وهى تحمل كاسها الذى كانت تشرب فيه مــن قــبــل)

عمــــر ــ (للنادل) : قهوة من فضلك (لعائشة) من هناك ؟

عائشة ــ كلهم .. اصدقائى الذين يزعجونك ..

عمــــر ــ لم اقل هذا ..

عائشة ــ ولكنك لم ترد ان تنضم اليهم .. انهم يصفونك بالانانى ..

عمــــر ــ واحيانا بالمتكبر ..

عائشة ــ واحيانا اخرى بالعجوز

عمــــر ــ وانت ؟

عائشة ــ مــاذا ؟

عمــــر ــ باى شىء تصفيننى ؟

عائشة ــ اتريد الحقيقة كالعادة ؟

عمــــر ــ نعــم ..

عائشة ــ بكل ذلك ..

عمــــر ــ بكل ماذا ؟

عائشة ــ العجوز الانانى المتكبر (تضحك)

عمــر ــ (متقطبا) : من اجل هذا ما اريد ان احدثك ..

عائشة ــ وهكذا ننهى علاقتنا ..؟

عمــر ــ لم اقــل هذا ..

عائشة ــ يعنى ان نصل الى نتائج من مناقشتنا ننــهــى بها ســوء التفاهم الذى بيننا .

عمــر ــ اجل ..

عائشة ــ انت تعلم مسبقا اى شىء ستنتهى اليه مناقشتنا

عمــر ــ لا سنعرض وجهات نظرنا المختلفة ..

عائشة ــ ثم تحملنى مسؤولية انفصام علاقتنا ..

عمــر ــ لماذا تفكرين تفكيرا مماثلا ؟

عائشة ــ هذا امر يخصنى .. اليست الافكار كالشكل الموشور كما تقول دائما ..

عمــر ــ مشكلتى انك تحاربيننى بافكارى .

عائشة ــ اننى لا انسى اى شىء تقوله ؟

عمــر ــ وهو كذلك ، ولكنك تنسين ان تستعملى الفكــرة فى المكان اللائق بها .

عائشة ــ انك متناقض .

عمــر ــ لا انكر هذا . ولكن ليس فى حدود الفكــرة الواحــدة .. الشىء الذى حاولت مرارا ان اجنبك اياه من غير ان افلح.

عائشة ــ لقد اخذت تكرهنى .. لانك لم تستطع ان تصنع منى الشىء الذى تريده .

عمــر ــ تقريبا .. فانا احببتك لانه تسرب الى اعتقــادى انــك

تتوفرين على قابلية للفهم . وقلت فى نفسى من الممكن ان احقق معجزة .. ففتاة فى مثل سنك ، تحمل افكار من هو فى سنى ستكون تحفة رائعة ..

عائشة ــ وهذا ما ينفرنى منك ..

عمــر ــ ولكنك كنت تستمعين الى طيلة الوقت ..

عائشة ــ لكى احيط بما يجول فى خاطرك .

(يقدم النادل ويضع القهوة امام عمر)

عمــر ــ ولكنك كنت تسالينني ايضا ..؟

عائشة ــ لاتقن دورى احسن ما يمكن ..

عمــر ــ ولماذا لم تحتفظى بذلك ..؟

عائشة ــ ظهرت لى تناقضات كثيرة ..

عمــر ــ وانت اليست لك تناقضات ..؟

عائشة ــ انى ازن اقوالى قبل ان اتفوه بها اما انت فــلا ..

عمــر ــ انى اتصر فتصرفا طبيعيا .. اما انت فلا ..

عائشة ــ ولكن النتيجة واحدة ، تلك التى وصلنا اليها ..

عمــر ــ ما هى ؟

عائشة ــ لا حاجة بك الى ان تسالنى ..

عمــر ــ اتزنين اقوالك ..؟

عائشة ــ نعــم ..

عمــر ــ حقا ، لقد احببتك كما اتصورك .. لا كما تريدين انت ان تكونــى .

عائشة ــ وكيف ذلك ..؟

عمــر ــ كما اصنعك ..

عائشة ــ (ضاحكة) : الست مصنوعة بعد ؟!

عمــر ــ يعنى كما اريد ان اعيد صنعك ..

عائشة ــ والصنع القديم ماذا سنصنع به ؟ اســمــع يا عمر كفى سفسطة لقد اصبحت اعرفك تماما ..

عمــر ــ لا . تعرفينى من اول وهلة ..؟

عائشة ــ لا . . قد كنت اعتقد انها طريقة تخفى بها حقيقتك .. ولهذا استسلمت لك ..

عمــر ــ وعندما عرفت انها حقيقتى ..؟

عائشة ــ لم تعد مغريا بما فيه الكفاية ..

عمــر ــ اذن لا تحبيننى على حقيقتى ..

عائشة ــ قد يكون .. لان حقيقتك بدت لى فى اول الامر كانها طريقة جديدة فى استمالتى .. ولهذا تعلقت بك ..

عمــر ــ وعندما علمت انها حقيقتى ..

عائشة ــ اصبحت باهتا .. ليست فيك جــدة ..

عمــر ــ ان القضية ليست تعلقك بى .. بل على العكس مشكلــة تعلقى بك .. لقد اصبحت امامى تافهة ..

عائشة ــ تماما هذا هو اللفظ الذى كنت ابحث عنه ; تافهة .. بدل باهت .. لقد اصبحت تافها انت الاخر ..

عمــر ــ لقد كنت اعتقد بان المرء اذا ما كشف لــلاخــرين حقيقته سيحبونه كثيرا .. ولهذا من اول وهلة تصرفــت معــك تصرفى الطبيعى ، من غير كلفة ، ومن غير لف ولا دوران .. واذا النتيجة هى عكس ما كنت اعتقد ..

عائشة ــ وانا ما هو دورى فى هذه العلاقة ..؟

عمـــر ـ كنت اتخيلك .. اتخيلك ..

عائشة ـ اتصرف تصرفى الحقيقى ؟

عمـــر ـ نعم ..

عائشة ـ اترى كم انت تصنعنى كما تريد ..؟!

عمـــر ـ تماما .. ولهذا احببتك ، لانى اريدك كما اريد

عائشة ـ وانا ..؟ انا التى كنت قبل ان اعرفك .. ما مصير الانـــا التى كنته قبل ان التقى بك صدفة .. هل اعدمته صدفة .؟

عمـــر ـ لا تنسى اننى قلت لك باننى لا يهمنى ماضيك .. وعلاقاتك القديمة التى وصفتها بانها مشينة ..

عائشة ـ لم تكن مشينة ..

عمـــر ـ ولكن انت التى وصفتها بذلك ..

عمـــر ـ أصحيح .. ؟

عائشة ـ نعم ..

عمـــر ـ انا الذى كنت امنحك صفحى من كل علاقاتك القديمة .. التى

عائشة ـ لارى ما مقدار تعلقك بى ..

كنت تخجلين منها ..

عائشة ـ وتشمر باعتزاز وبسخاء وانت تتجاوز عنها ..،كم انـــت كريم .. !

عمـــر ـ ولماذا سلكت معى هذه الطرق الملتوية .. ؟ الكى نفتـــرق فيمـــا بعـــد ؟

عائشة ـ كنت اريد ان احصل على رجل مختلف عن كل الرجال ..

عمـــر ـ ولماذا .. ؟

عائشة ـ هذه رغبتى .. قد تكون الانانية ، وقد تكون شذوذا ، وقد

تكون شيئا آخر ، ولكنها مع كل اعتبار انها رغبتى ..

عمــر ــ وهل تحققت ؟

عائشة ــ معك لا ؟

عمــر ــ ومع هذا الشاب الغر الذى تصاحبينه هذه الايام ؟

عائشة ــ حتى هو الاخر .

عمــر ــ (مصعوقا) : واذن لماذا تحتفظين به ؟

عائشة ــ قتلا للوقت .. ولكن لا ارمى بالشذوذ .. كل الفتيات لهن اصدقاء ..

عمــر ــ انت غريبة الاطوار ..

عائشة ــ اهذا كل ما وجدته لتصف به صراحتى ؟

عمــر ــ ولكن ينبغى ان تفهمى

عائشة ــ ماذا ؟ أن آخذ بعين الاعتبار كل ما تقوله . ليكن .. ايـــة نتيجة تريد ان نصل اليها .. ؟ أن نستمر فى علاقة كــل منا يمثل فيها دور المحب .. ؟

عمــر ــ لقد قلت لى مرارا انك تحبيننى ..

عائشة ــ وانت كذلك ؟

عمــر ــ نعــم

عائشة ــ الا تستحيي من نفسك .. ؟

عمــر ــ لماذا ؟

عائشة ــ الم تكتشف تناقضاتك بعد .. ؟

عمــر ــ ولكن ..

عائشة ــ الم تقل لى بانك تحبنى كما تريدنى انت لا كما انا فى الواقع..؟

عمــر ــ الامران سيان ..

عائشة ــ ايهما .. ؟ انا لست اجمع شخصين فى شخص واحد ...
انني انا كما انا لا كما تريد ان تتصورني ..
عمــر ــ أليس لى الحق فى أن أتصورك كما اريد .. وانت ألـــم تتصورينني على غير حقيقتى .. ألم تقولى بأنك كنـــت تعتبرينني اخفى عنك حقيقتى ..
عائشة ــ وعندما اكتشفتك كما انت لم تعجبنى .. وصرحت لـــك بذلـــك ..
عمــر ــ وماضينا .. ؟ ماضينا .. ؟
عائشة ــ ماذا نصنع بــه .. ؟
عمــر ــ لا تنسى اننى وهبتك ..
عائشة ــ (تقاطعه فى صـــرامة)
عائشة ــ (تقاطعه فى صرامة) : كل الامسيات الرائعة باشعة الشمس الذهبية ، والشفق الاحمر الناعم ، والهدوء الشامل الذى يلامس نياط فؤادك فيحدث فيه احساســـا بالسعـــادة وبالانعتاق .. اليس هذا ما كتبته لى فى رسالتك الاخيرة ..
عمــر ــ (فى استرحام) ولكن ...
عائشة ــ (فى استرسال وهى تخرج الرسالة وتقراها :) ان روعة الطبيعة استطاعت ان تمنحك رقة فى الشعور فلما رايتنى ابتعدت عن التفكير فى اى شىء آخر سواى .. ما ســـر جمالى الذى ابتعد بك عن ان تفكر فيما عداى ، فالطبيعة بعد اليوم لن تساوى لديك شيئا ، فلا الامسيات الرائعة ، ولا الليالى المقمرة ، ولا زقزقات الطيور ، ولا حفيف الاشجار بمحدث فى نفسك ما تحدثه خطراتى اذا ما أنا امامك خطرت

.. خطرت .. خطرت (تلتفت اليه :) ما معنى .. ذلك ؟

عمـــر ـ عائشة ..

عائشة ـ (تسترسل :) كل الكلمات التى سمعتها منى لن تعـــدل الحان الموسيقى الجميلة التى سمعتها قبل ان ترانى ... اربعون سنة بايامها ولياليها احتفظت بها لتبسطها بين قدمى.. (فى استهزاء) وهل تعتبرنى متحفا .. ؟

عمـــر ـ اسمعى ..

عائشة ـ (تتمم :) غير انى لم اعبا بكل ذلك ، وكشفت لك عـــن رفضى لك (تنظر اليه :) هذا صحيح (تتمتم :) ولاحساساتك ولرقة شعورك ، ولسنواتك الاربعين .. وانطلقت امامك اجرى ومن ورائى جذائلى تتلقف انفاسى ، وصدرى الوثاب يهتز كخفقات قلبك .. الصبا شىء لن تعرفه بعد اليــوم .. والامسيات والليالى والالحان واشياء اخرى كثيرة ذابــت ...انمحت .. لم تعد تذكر منها شيئا .. لم تعد تسترجعها كلها فى كثافة عجيبة (تنظر اليه :) ها هو الماضى الذى تحدثنى عنه الان (تتمم :) .. لم تعد تسترجعها كلها فـــى كثافة عجيبة حيث ذرات عمرك الطويل قد انتظمت يـــوم رايتنى ، وشغفت بى حبا .. انفرط العقد .. هذا العقـــد الثمين الذى كان ينظم فى حباته كل الامسيات الـــرائعـــة والالحان الشجية ، والقراءات الكثيرة انفرط كله دفعـــة واحدة ولم يبق عليه من ذلك اى شىء .. ومضيت مـــع غرفى مثل سنى .. لا يدرى من امر الحياة شيئا (تنظـــر اليه :) هذا صحيح انظر اليه انه نائم على الطاولة ..

(تتمم :) لم يكتشف بعد اى شىء لا الالحان المشحونة ولا الاشعار الجياشة ولا سر الطبيعة الاخاذ .

عمــر ــ ولماذا تعلقت به ؟

عائشة ــ اتريد الحقيقة ؟

عمــر ــ نعــم

عائشة ــ لقد قلتها لك .. كل الفتيات لهن رفيق ..

عمــر ــ (يتزحزح :) هات الرسالة .

عائشة ــ انها لا تخصك .. انها لى .. الم تبعث بها الى .. ؟

عمــر ــ انا لا اريدك ان تستهزئى من اقوالى ..

عائشة ــ ان كثيرا من اقوالك يعجبنى واذيعه فى كل مناسبة

عمــر ــ مثــلا ؟

عائشة ــ يلزم ان يحقق المرء سعادته على هذه الارض ان يموت

عمــر ــ هل تعتقدين انت ذلك ؟

عائشة ــ نعم . واضيف عليه شيئا آخر ..

عمــر ــ ماذا ؟

عائشة ــ قبل ان يتزوج المرء ينبغى ان يحقق الرجولة .

عمــر ــ الست فى نظرك رجلا .. ؟

عائشة ــ ليس الرجل الذى اريده

عمــر ــ (يشير الى داخل الحانة :) هل طفلك النائم هو من يمثل فى نظرك الرجولة الحقيقية ؟

عائشة ــ لا .. ولكن فى استطاعتى ان اصنع منه رجلا ..

عمــر ــ ستفشلين ..

عائشة ــ لماذا ؟

عمــر ــ النتيجة امامك .. لقد فشلت فى ان اصنع منك ما اريد ..

عائشة ــ اما انا فسانجح .

عمــر ــ لماذا ؟

عائشة ــ لاننى امرأة .. (تقوم)

عمــر ــ ستذهبين لتوقظيه ..

عائشة ــ فذلك افضل من ان يظل نائما ..

(يقترب النادل فيدفع له عمر وهو يقوم)

عمــر ــ أعتقد أن ...

عائشة ــ اننا انتهينا .. وداعا .. (تدخل الحانة) (ينصرف عمر).

ستـــــار

محمد برادة

مرة فى كل شهر

المؤتمر الخامس للادباء العرب

نفس السؤال قفز الى ذهنى ، وأنا أقرأ توصيات المؤتمر الخامس للادباء العرب الذى انعقد فى الشهر الماضى ببغداد : ترى هل سيكتب لها أن ترى النور ؟ أم انها ستظل حبرا على ورق مثلما بقيت توصيات مؤتمرات بلودان ، والقاهرة ، والكويت ؟

أكيد أن لهذه اللقاءات بين الادباء العرب فائدة كبرى ، لانها تيسر الحوار ، وتتيح لهم أن يتفاهموا وأن يتناقشوا بحرية وعمق ، وبعيدا عن كثير من الاحكام السابقة التى تتحدر اليهم من بعض الملابسات السياسية .. ولكن وضعيتنا الادبية والفكرية فى أشد الحاجة لتنفيذ هذه التوصيات ، وجعلها خطوة للتعاون الفعال ، لارساء

كيان الفكر العربى المعاصر كما نريده قويا ، متحررا ، ومتحملا لمسؤولياته بكل شجاعة وايمان .

وقد لا نبعد عن الحقيقة اذا قلنا بأن من اهم العقبات التى تحول دون تنفيذ توصيات ادبائنا ، الاعتماد على الحكومات والمنظمات التابعة لها. فليست كل الحكومات العربية فى مستوى واحد من الوعى والاخلاص لقضية الادب والثقافة العربية .. وليست كل الحكومات العربية تؤمن بدون الادب فى معارك التوعية والبناء ، والتحرير . وليست كل الحكومات العربية هادفة الى تقويض دعائم المجتمع الاقطاعى الرجعى ، من اجل بناء مجتمع اشتراكى يؤمن بالمساواة ، وبالوحدة العربية .

لذلك ، فان من الواجب أن نتناقش فى الاساس ، فى المنطلق، لنضمن مواصلة السير نحو الاهداف التى يتطلع اليها كل اديب عربى ملتزم ملقضايا شعبنا العربى الكبير . ان المؤتمرات الاربعة السالفة اثبتت انها مجرد تظاهرات ثقافية ، تلقى فيها الابحاث الجيدة ، والقصائد العاطفية الرائعة .. وتتلاقى خلالها الافكار على بعد المواطن ، وتتجدد الامال فى وحدة فكرية وادبية اوثق .. ثم ينتهى الامر الى فراق لا يعقبه عمل منظم ... وقد تهمل التوصيات ، ولا يعاد الحديث حولها الا عندما تسنح فرصة مواتية لدولة من الدول العربية، فتدعو الى عقد المؤتمر ، ويعود الشمل الى الاجتماع ، ويعود الحديث الى مشاكل النشر ، والترجمة ، واحياء التراث .

وفى اعتقادى ان من اهم ما قرره مؤتمر الادباء العرب الخامس قوله :

((الادب الثورى لا يقتصر على مواكبة التيارات المجـددة لحياة الامة العربية ، بل هو رائد سباق الى الدعوة لحياة افضل)).

بالنظر الى ظروفنا الاجتماعية ، والى المرحلة التاريخيـة التى نمر منها ، فان ادبنا لا يمكن ان يكـون الا ثـوريا طلائـعيـا يستشرف آفاق المستقبل . وهذه المهمة تضخم مسؤوليته وتحتم على الادباء العرب ان يدركوا جيدا طبيعة هذه الرسالة .. وهى طبيعـة تقضى بالاعتماد على الجهود الخاصة قبل الاستعانة بمساعدة الحكومات الحكومات ، خصوصا اذا كانت بعض هذه الحـكومات معارضة لتطلعات الادب الثورية . اننا نريد اتحادا عاما يضم ادباء العرب ، وتكون اسسه مرتكزة على مقياس ((غير حكومى)) ، بمعنى ان تكون شروط الانتماء اليه نابعة من الشروط التى يجب ان تتوفر فى الاديب العربى المعاصر ، وهى شروط الثورية والالتزام ، والايمان بالمبادىء التقدمية . وكما جاء فى مشروع اتحاد العرب ، فان من مـهامـه ، ((العمل على حماية الاديب فى حرية التعبير ضمن حدود المثل القومية العربية والانسانية)). ان من شان هذا الاتحاد العام — لو تحقق — ان يدعم عنصر الحرية المفتقد فى ادبنا . نحن لا نريد ان تتكرر مأساة بدر شاكر السياب ، وان يضطر الى المدح تكفيرا عن مواقف سابقة يؤمن بها ، وتنسجم ، فى مجموعها ، مع الافكار التى اعتنقها .. لا نريد ان يضطر ادباؤنا الى مغادرة بلادهم حتى يتمكنوا مـن نشـر انتاجهم ، خوفا من ان يلقى بهم فى غياهيب السجون . نريد الحريـة المسؤولة .. الكاتب العربى المعاصر يجب ان يصبح قيمة تمـارس تاثيرها فى التوجيه والتغيير ، وتجديد المعتقدات .. وان تصبـح حريته مبدا مقدسا مصونا من عبث الذين يسيرون فى التيار المعاكس للتـاريـخ .

الشيوعيـــة ومفهـــوم الادب

من حين لاخر ، تطفو الخصومات الجدلية حول مفهوم الفن والادب ، لتغمر واجهة النشاطات الفكرية ، ولتعيدنا الى موضوع اثير الى نفوسنا رغم قدمه ، وكثرة ما قيل فيه .. الا ان اشكـــال اعادة طرح هذه المناقشة ، تختلف من مرة لاخرى .. وهى فى هــــذه الايام لا تقتصر على التجريد ، وتقسيـــم الخلاف الى شقين عـــامين هما : اتجاه الفن للفن ، واتجاه الادب للحياة .. بل انها تاخذ منحى آخر ، هو الصراع بين الذين ينادون بترك الحرية المطلقة امام الفنان، بحيث يكون حرا حتى فى التزامه .. وبين من يعتقدون ان الفن ، مثل بقية القوى والامكانيات البشرية ، هو قيمة لها فعاليتها فى نفع المجتمع وتغييره ، وهذا الجانب الاخير يمثله مذهب الواقعية الاشـــتراكيـــة بصفة عامة ، والنظرية الشيوعية بصفة خاصة .

وقد انعقد يوم ٣ مارس ١٩٦٥ بموسكو المؤتمر الثانـــــى لادبـــاد فيدرالية روسيا ، ونوقشت خلاله كثير من المشاكل المتصلـــة بالفن ومهمة الادب . .وقا مليونيد سوبليف بتقديم تقرير عن « الادب السوفياتى وتربية انسان جديد » .. وسبق للاستاذ رومياتتسيـــف رئيس تحرير البرافدا ان نشر بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٦٥ مقالا هامـــا بعنوان « الحزب والمثقفون » ، اعطى فيه تحليلات عميقـــة لعلاقـــة الشيوعية بالخلاق الفنى ، وحدد مسؤولية الاديب السوفياتى فى بنـــاء المجتمع الجديد ... وفى نفس الفترة ، نشرت صحيفة الفيغـــارو الادبية مقالا للروائى الابطالى البيرتو مورافيا تحت عنوان « الفـــن والشيوعية » ، وفيه يوجه الاديب الايطالى اتهامات فنية خطيـــرة

للشيوعية الحاكمة التى يميز بينها وبين الشيوعية التى توجـــــد فى المعارضة ... وقد أحببت أن ألخص أهم الافـــكـــار الواردة فى هذه المقالات الثلاث ، وان اقابل بينها .

يلاحظ مورافيا فى البداية ان الشيوعيين يرفضون الواقع ، ويستبدلونه بالايديولوجية ، وما عداها لا دخل له فى اعتبارهم . وهم يربطون النظرية الاستيتيقية بمجموع نظرياتهم الاقتصادية والاجتماعية مما يؤدى الى الخلط والى تبسيط المفاهيم .. يقول مورافيا :

« .. وفى الواقع فان الفن اذا امكنه ان يتوفر على اساس بروليتارى ، فانه مرتبط بنضج الذوق ، وبالثقافة ، وموهبة التعبير ... والتاريخ لم يعاكس قط هذه الحقيقة ، لان الفن ــ مهما كان أساسه ــ هو نتاج ارستقراطى ينضج على مهل ... »

وبعد ان يشير مورافيا الى الاثر السىء لاى ثورة فى الفـــن لانـــهـــا تجتـــث الطبقـــة المثقـــفـــة وتسطح المستويات تنتهى الى ان الفن الشيوعى يجد نفسه امام طريقين اثنين : اما ان يصبح دعائيا واما ان يصبح كلاسيكيا بمعنى نه يغدو خاليا من كل جدال اجتماعى ما دامت الشيوعية تدعى تحقيقها لمطامح الانسان ...

الحق ان مقالة مورافيا تشتمل على لمحات ذكية ، ولكنهـــا جزئية تغفل الرؤية المتكاملة للشيوعية ، والظروف التاريخية التى مر بها الاتحاد السوفياتى بعد ثورة ١٩١٧ ، وهو المجتمع الشيوعى الذى يقصده مورافيا بانتقاداته ، لانه يستثنى الشيوعيين الذين يوجـــدون فى المعارضة ، ويقول بان ادبهم طافح بالصدق والجدال الاجتماعى .. وربما كان انعدام وجود ادب سوفياتى فى نفس روعة ادب ما قبل الثورة ، راجعا الى اسباب غير الاسباب التى ذكر .. يدل على ذلك

ان رومیانتسیف یحدد علاقة الحزب الشیوعی بصفوة الادباء والفنانین فی اطار آخر غیر الاطار الذی ذکره مورافیا ، والذی اتخذ طـابـع «الاتهام التقلیدی» .. یقول رومیانتسیف :

«.. والحزب عندما یوجه تنمیة العلم والادب ، والفن ، یدخل فی اعتباره خصوصیات العمل الخلاق للصفوة السوفیاتیة . ا ن الخلق الحقیقی هو ـ باستمرار ـ اکتشاف لشیء جدید کان مجهولا من قبل، سواء کان قانونا علمیا ، او ظاهرة حیاتیة جدیدة یعبر عنها بوسائـل فنیة ، او بشکل جدید یجسد مضمونا قدیما .. ان الخلق فی کل هذه الاشکال ، هو التعبیر الممتاز عن الفکر الانسانی . وهو لا یمکن ان یوجد حسب الاوامر ، کما انه لا یسمح بتدخل بیروقراطی شکلی ، ولا بوصایة او تقنین مجحف .. ذلك لان الخلق متولد عن حاجیـات اجتماعیة اتخذت شکل مطلب التزامی داخلی عند العالم او الفنان ..»

اعتقد ان هذا النص ینفی تماما ما ذهب الیه مورافیا مـن ان الشیوعیة ترغم الادباء ان یصبحوا مجرد ابواق دعایة .. واذا کانت هناك بعض الاعمال التی تشهد بالجدب ، فانها ـ عند التعمق ـ ترجع الی اسباب سیاسیة او الی اسباب تتصل بتجـاوز بعـض القادة لمسؤولیاتهم ، ومحاولتهم فرض الوثوقیة المتعصبة ... والقضیة بعد کل شیء ، ملتصقة بالادباء والفنانین ، وبمقدار شجاعتهم عـلى تحمل مسؤولیاتهم . وهکذا فاننا نجد الی جانب الادباء الشیوعیین الذین سایروا رغبات القیادة المنحرفة ، من تمسکوا برسالتهم وظلوا مخلصین فی ابداعهم للمبادیء التقدمیة الجوهریة ، دون ان ینساقوا لبعض التاثیرات الدیماغوجیة الوقتیة .. فهناك مکسیم جورکی الذی زاوج بین المضمون الشعبی والصیاغة الفنیة ، ولم ینتج حسـب

الطلب .. وهنا كباسترناك .. وهنا كاهرنبورغ ، و واجين ايفتشنكو .. وكثيرون ممن ينتمون الى جيل الادباء السوفياتيين الشباب . واستطاعوا رغم «ارهابية» خروتشيف ان يتابعوا طريقهم للبحث عن مشكل يلائم مرحلتهم المجتمعية الجديدة التى تعتبر «العمل سيد العالم» .

ان من المسلم به عند النقاد الشيوعيين كذلك، ان التعبير الفنى شيء « يختلف عن الخطبة السياسية ، والمقالة الدعائية .. وان هناك «شروطا» ومقتضيات لا بد من توفرها لوجود الادب والفنون .. ولكن الحد الفارق بين الفن المجانى ، والفن المسؤول ، هو الرؤية الحياتية »، فالذين يؤمنون بالنزعة الفردية ، وبالحرية البورجوازية لا يستطيعون ان يضيفوا للانسانية قيما جديدة .. والانسان — خصوصا فى العالم الثالث ، وفى مناطق العبودية — ليس مستعدا لان ينسلى بما تجود به القرائح ، وما تتفتح عنه المواهب .. انه يفضل الاناشيد التى تنبعث من بين الصفوف ، ويتذوق الروايات والقصص المترجمة للواقع المعاش .. ويحلم فى امل على نغمات القصائد المستشرفة للمستقبل .. يقول سوبليف فى تقريره :

« ... اننا نقدم مفهوما يعارض الفن المنحط ، انه مفهوم ذو طابع بطولى ، وادب مستلهم من المثل العليا الاجتماعية ومن الاهداف الاخلاقية المقدمة للانسان ، ومن الايمان فى قواته وامكاناته ...»